

عندهم كما حكى فيأمر ، وقيل : قرئ بضم النون وسكون الهاء ﴿ في مقعد صدق ﴾ في مكان مرضى على أن الصدق مجاز مرسل في لازمه أو استعارة ، وقيل : المراد صدق المبشر به وهو الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو المراد أنه ناله من ناله بصدقه وتصديقه للرسول عليهم السلام ، فالإضافة لأدنى ملابسة ، وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه : مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق ، وهو المقعد الذي يصدق الله تعالى فيه مواعيد أوليائه بأنه يبيع عز وجل لهم النظر إلى وجهه الكريم ، وإفراد المقعد على إرادة الجنس *

وقرأ عثمان البتي - في مقاعد - على الجمع وهي توضح أن المراد بالمقعد المقاعد ﴿ عند مليك ﴾ أي ملك عظيم الملك ، وهو صيغة مبالغة وليست الياء من الاشباع ﴿ مقتدر ٥٥ ﴾ قادر عظيم القدرة ، والظرف في موضع الحال من الضمير المستقر في الجار والمجرور ، أو خبر بعد خبر ، أو صفة لمقعد صدق ، أو بدل منه ، والعندية للقرب الرتبى ، وذكر بعضهم أنه سبحانه أبهم العندية والقرب ونكر - مليكا ، ومقتدراً - للإشارة إلى أن ملكه تعالى وقدرته عز وجل لا تدرى الأفهام كنههما وأن قربهم منه سبحانه بمنزلة من السعادة والكرامة بحيث لا عين رأت ولا أذن سمعت مما يحل عن البيان وتكل دونه الأذهان *

وأخرج الحكيم الترمذي عن بريدة - عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى : (إن المتقين) الخ قال : إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال فلا تقر أعينهم قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رحالهم قريرة أعينهم ناعمين إلى مثلها من الغد - وإذا صح هذا فهو من المتشابه كآلية فلا تغفل ، ولهذين الاسمين الجليلين شأن في استجابة الدعاء على ما في بعض الآثار *

أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب قال : دخلت المسجد وأنا أرى أنى أصبحت فإذا على ليل طويل وليس فيه أحد غيري فسمعت حركة خلفي ففرعت فقال : أيها الممتلئ قلبه فرقا لا تفرق أو لا تفرع وقال اللهم إنك ملك مقدر ما تشاء من أمر يكون ثم سل ما بدالك قال : فاسألت الله تعالى شيئاً إلا استجاب لي وأنا أقول : اللهم إنك ملك مقدر ما تشاء من أمر يكون فأسعدني في الدارين وكن لي ولا تكن علي وانصرني على من بغى علي وأعذني من هم الدين وقهر الرجال وشماتة الأعداء ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين *

﴿ سورة الرحمن عز وجل ﴾

وسميت في حديث أخرجه البيهقي عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً « عروس القرآن » ورواه موسى ابن جعفر رضي الله تعالى عنهما عن آبائه الأئمة كذا (وهي مكية) في قول الجمهور ، وأخرج ذلك ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير . وعائشة رضي الله تعالى عنهم . وابن النحاس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وأخرج ابن الضريس . وابن مردويه . والبيهقي في الدلائل عنه أنها نزلت بالمدينة ، وحكى ذلك عن مقاتل ، وحكاها في البحر عن ابن مسعود أيضاً ، وحكى أيضاً قولاً آخر عن ابن عباس وهو أنها مدنية سوى قوله تعالى :

(يسأله من في السموات والارض) الآية ، وحكى الاستثناء المذكور في جمال القراء عن بعضهم ولم يعينه ، وعدد آياتها ثمان وسبعون آية في الكوفي والشامي ، وسبع وسبعون في الحجازي ، وست وسبعون في البصري * ووجه مناسبتها لما قبلها على ما قال الجلال السيوطي : أنه لما قال سبحانه في آخر ما قبل (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ثم وصف عز وجل حال المجرمين (في سقر) ؛ وحال المتقين (في جنات ونهر) فصل هذا الاجمال في هذه السورة أتم تفصيل على الترتيب الوارد في الاجمال فبدأ بوصف مرارة الساعة ، والاشارة إلى شدتها ، ثم وصف النار وأهلها ، ولذا قال سبحانه : (يعرف المجرمون بسيماهم) ولم يقل الكافرون ، أو نحوه لاتصاله معنى بقوله تعالى هناك : (إن المجرمين) ، ثم وصف الجنة وأهلها ، ولذا قال تعالى فيهم : (ولن خاف مقام ربه جنتان) وذلك هو عين التقوى ولم يقل ولمن آمن ، أو أطاع ، أو نحوه لتوافق الالفاظ في التفصيل والمفصل ؛ ويعرف بما ذكر أن هذه السورة كالشرح لآخر السورة قبلها ، وقال أبو حيان في ذلك : أنه تعالى لما ذكر هناك مقر المجرمين في سقر ، ومقر المتقين (في جنات ونهر عند مليك مقتدر) ذكر سبحانه هنا شيئاً من آيات الملك وآثار القدرة ، ثم ذكر جل وعلا مقر الفريقين على جهة الإسهاب إذ كان ذكره هناك على جهة الاختصار ، ولما أبرز قوله سبحانه : (عند مليك مقتدر) بصورة التذكير فكأن سائلاً يسأل ويقول من المتصف بهاتين الصفتين الجليلتين ؟ فقيل : (الرحمن) الخ ، والاولى عندي أن يعتبر في وجه المناسبة أيضاً ما في الإرشاد وهو أنه تعالى لما عدد في السورة السابقة منازل بالامم السالفة من ضروب نعم الله عز وجل ، وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس واتعاضهم ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية والانفسية والافاقية وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بموажب شكرها ، وهذا التكرار أحلى من السكر إذا تكرر ، وفي الدرر والغرر لعلم الهدى السيد المرتضى التكرار في سورة (الرحمن) إنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعدة ، فكلما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن اليك بأن خولتك في الاموال ؟ ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا ؟ فيحسن فيه التكرير لاختلاف ما يقرر به وهو كثير في كلام العرب وأشعارهم كقول مهلهل يرثى طليبا :

على أن ليس عدلا من كليب	إذا ماضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب	إذا رجف العضاه من الدبور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا خرجت مخبأة الخدور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا ما أعلنت نجوى الأمور
على أن ليس عدلا من كليب	إذا خيف الخوف من الثغور
على أن ليس عدلا من كليب	غداة تأثل الأمر الكبير
على أن ليس عدلا من كليب	إذا ماخار جاش المستجير

ثم أنشد قصائد أخرى على هذا النمط ولولا خوف الملل لاوردتها ، ولا يرد على ما ذكره أن هذه الآية قد ذكرت بعد ما ليس نعمة لما ستعلمه إن شاء الله تعالى في محله ، وقسم في الاتقان التكرار إلى أقسام ، وذكر أن منه ما هو لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الاول ؛ ثم قال : وهذا القسم يسمى بالترديد وجعل منه قوله تعالى : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فانها وإن تكررت إحدى وثلاثين مرة فكل واحدة

تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كان الجميع عائداً على شيء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيدي لا يزيد عليها كما قال ابن عبد السلام. وغيره، وهو حسن إلا أنه نظر في إطلاق قوله: إن التأكيدي الخ بأن ذلك في التأكيدي الذي تابع أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع وإن لزم منه التأكيدي فافهم، وبدأ سبحانه من النعم بتعليم القرآن فقال عز قائلًا:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ لأنه أعظم النعم شأنًا وأرفعها مكانًا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية وعيار على الكتب السماوية ما من مرصدتروا إليه أحداق الامم إلا وهو منشؤه ومناطه، ولا مقصد تمتد نحوه أعناق الهمم إلا وهو منهجه وصراطه، ونصبه على أنه مفعول ثانٍ - لعلم - ومفعوله الأول محذوف لدلالة المعنى عليه - أي علم الإنسان القرآن - وهذا المفعول هو الذي كان فاعلا قبل نقل فعل الثلاثي إلى فعل المضارع، وسها الامام فحسب أن المحذوف المفعول الثاني حيث قال: علم لا بد له من مفعول ثانٍ وترك للإشارة إلى أن النعمة في التعليم لا في تعليم شخص دون شخص، ويمكن أن يقال: أراد أنه لا بد له من مفعول آخر مع هذا المفعول فلا جزم بسهولة، وقيل: المقدر جبريل عليه السلام أو الملائكة المقربين عليهم السلام، وقيل: محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى القولين يتضمن ذلك الإشارة إلى أن القرآن كلام الله عز وجل، والقول الأول أظهر وأنسب بالمقام، ولى في تعليم غير جبريل عليه السلام من الملائكة الكرام تردد ما بناءً على ما في الاتقان نقلًا عن ابن الصلاح من أن قراءة القرآن كرامة أكرم الله تعالى بها البشر فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنهم حريصون لذلك على استماعه من الإنس، وإنما لم اعتبر عمومهم للنصوص الدالة على أن جبريل عليه السلام كان يقرأ القرآن وكانى بك لا تسلم صحة ما ذكر وإن استثنى منه جبريل عليه السلام، وقيل: (علم) من العلامة ولا تقدير أى جعل القرآن علامة وآية لمن اعتبر، أو علامة للنبوة ومعجزة، وهذا على ما قيل: يناسب ما ذكر في مفتتح السورة السابقة من قوله تعالى: (وانشق القمر) وتناسب السورتان في المفتتح حيث افتتحت الأولى بمعجزة من باب الهيبة وهذه بمعجزة من باب الرحمة •

وقد أبعد القائل ولو أبدى ألف مناسبة، فالذى ينبغي أن يعلم أنه من التعليم، والمراد بتعليم القرآن قيل: إفادة العلم به لا بمعنى إفادة العلم بالفاظه فقط بل بمعنى إفادة ذلك والعلم بمعانيه على وجه يعتد به وهو متفاوت وقد يصل إلى العلم بالحوادث الكونية من إشاراته ورموزه إلى غير ذلك فإن الله تعالى لم يغفل شيئاً فيه • أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة مرفوعاً «إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة» وأخرج ابن جرير. وابن أبي حاتم عن ابن مسعود أنزل في هذا القرآن علم كل شيء وبين لنا فيه كل شيء. ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن، وقال ابن عباس: لو ضاع لى عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى؛ وقال المرسى: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم كالخلفاء الأربعة، ثم ورث عنهم التابعون لهم باحسان، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، وفسر بعضهم التعليم بتدبير النفس لتصور المعاني، وجوز الامام أن يراد به هنا جعل الشخص بحيث يعلم القرآن فالآية كقوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر) وهو بهذا المعنى مجاز كما لا يخفى، و﴿الرحمن﴾ مبتدأ. والجملة بعده خبره كما هو الظاهر، وإسناد

تعليمه إلى اسم (الرحمن) للايذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها ، وتقديم المسند إليه إما للتأكيد أو للحرص ، وفيه من تعظيم شأن القرآن ما فيه ، وقيل : (الرحمن) خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ خبره محذوف أى الله الرحمن ، أو الرحمن ربنا وما بعد مستأنف لتعديد نعمه عز وجل وهو خلاف الظاهر ، ثم أتبع سبحانه نعمة تعليم القرآن بخلق الانسان فقال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ لأن أصل النعم عليه ، وإنما قدم ما قدم منها لأنه أعظمها ، وقيل : لأنه مشير إلى الغاية من خلق الانسان وهو كماله في قوة العلم والغاية متقدمة على ذى الغاية ذهنياً وإن كان الأمر بالعكس خارجاً ، والمراد بالانسان الجنس وبخلقه إنشأؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة ، ثم أتبع عز وجل ذلك بنعمة تعليم (البيان) فقال سبحانه : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ لأن البيان هو الذى به يتمكن عادة من تعلم القرآن وتعليمه ، والمراد به المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير *
والمراد بتعليمه نحو مامر ، وفى الإرشاد أن قوله تعالى : (خلق الانسان) تعيين للتعلم ، وقوله سبحانه :

(علمه البيان) تبيين لكيفية التعليم ، والمراد بتعليم البيان تمكين الانسان من بيان نفسه ، ومن فهم بيان غيره إذ هو الذى يدور عليه تعليم القرآن . وقيل : بناءً على تقدير المفعول المحذوف الملائكة المقرئين إن تقديم تعليم القرآن لتقدمه وقوعاً فهم قد علموه قبل خلق الانسان وربما مرز إليه قوله تعالى : (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يحسه إلا المطهرون) وفى النظم الجليل عليه حسن زائد حيث أنه تعالى ذكر أموراً تلوية وأموراً سفلية وكل علوى قابله بسفلى ويأتى هذا على تقدير المفعول جبريل عليه السلام أيضاً ؛ وقال الضحاك : (البيان) الخير والشر ، وقال ابن جريج : سبيل الهدى وسبيل الضلالة ، وقال يمان : الكتابة والكل كما ترى ، وجوز أن يراد به القرآن وقد سماه الله تعالى بياناً فى قوله سبحانه : (هذا بيان) وأعيد ليكون الكلام تفصيلاً لإجمال علم القرآن وهذا فى غاية البعد . وقال قتادة : (الانسان) آدم . و (البيان) علم الدنيا والآخرة ، وقيل : (البيان) أسماء الاشياء كلها . وقيل : التكلم بلغات كثيرة ، وقيل : الاسم الاعظم الذى علم به كل شئ ، ونسب هذا إلى جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه *
وقال ابن كيسان : (الانسان) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وعليه قيل : المراد بالبيان بيان المنزل . والكشف عن المراد به كما قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكرك لتبين للناس ما نزل اليهم) أو الكلام الذى يشرح به

المجمل والمبهم فى القرآن أو القرآن نفسه على ما سمعت آتفاً ، أو نحو ذلك مما يناسبه عليه الصلاة والسلام ويليق به من المعانى السابقة ، ولعل ابن كيسان يقدر مفعول علم الانسان مراداً به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أيضاً ، وهذه أقوال بين يديك ، والمتبادر من الآيات الكريمة لا يخفى عليك ولا أظنك فى مرية من تبادر ما ذكرناه فيها أولاً . ثم إن كلا من الجملتين الأخيرتين خبر عن المبتدأ كجملة (علم القرآن) وكذا قوله تعالى :

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ هـ ﴾ والجار والمجرور فيه خبر بتقدير مضاف أى جرى (الشمس والقمر) كأنن أو مستقر (بحسبان) أو الخبر محذوف والجار متعلق به أى يجرى بحسبان وهو مصدر كالغفران بمعنى الحساب . كما قال قتادة . وغيره . أى هما يجرىان (بحسبان) مقدر فى بروجها ومنازلها بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب ، وقال الضحاك . وأبو عبيدة : هو جمع حساب كسحاب وشهبان أى هما يجرىان بحسابات شتى فى بروجها ومنازلها ، وقال مجاهد : الحسبان الفلك المستدير من حسان الرحا وهو ما أحاط بها من أطرافها المستديرة ، وعليه فالباء للظرفية ، والجار والمجرور فى موضع

الخبر من غير احتياج إلى ما تقدم ، والمراد كل من (الشمس والقمر) في فلك ، والجمهور على الأول وجريان الشمس والقمر بما لا ينبغي أن يشك فيه .

وفلاسفة العصر كانوا يزعمون أن الشمس لا تجرى أصلاً ، وأن القمر يجرى على الأرض ، والأرض تجرى على الشمس ، وقد سمعنا أنهم عدلوا منذ أعوام عن ذلك ، فزعموا أن للشمس حركة على كوكب آخر وهذا يدل على أنهم لم يكن عندهم برهان على دعواهم الأولى كما كان يقوله من كان ينتصر لهم ، والظاهر أن حالهم اليوم بل وغداً مثل حالهم بالأمس ، ونحن مع الظواهر حتى يقوم الدليل القطعي على خلافها وحينئذ نميل إلى التأويل وبابه واسع ، ومثل هذه الجملة قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ فان المعطوف على الخبر خبر ، والمراد - بالنجم - النبات الذي ينجم أى يظهر ويطلع من الأرض ولا ساق له ، وبالشجر النبات الذي له ساق ، وهو المروى عن ابن عباس . وابن جبير . وأبي رزین ؛ والمراد بسجودهما انقيادهما له تعالى فيما يريد بهما طبعاً ، شبه جريهما على مقتضى طبيعتهما بانقياد الساجد لخالقه وتعظيمه له . ثم استعمل اسم المشبه به في المشبه فهناك استعارة مصرحة تبعية ، وقال مجاهد . وقتادة . والحسن - النجم - نجم السماء وسجوده بالغروب ونحوه ، وسجود الشجر بالظل واستدارته عند مجاهد . والحسن ، وفي رواية أخرى عن مجاهد أن سجودهما عبارة عن انقيادهما لما يريد سبحانه بهما طبعاً ، والجمهور على تفسير النجم بما سمعت أولاً قبل لأن اقترانه بالشجر يدل عليه ، وإن كان تقدم (الشمس والقمر) يتوهم منه أنه بمعناه المعروف ففيه تورية ظاهرة ، وإخلاء الجمل الثانية . والثالثة . والرابعة عن العاطف لورودها على نهج التعديد مع الإشارة إلى أن كلاهما تضمنته نعمة مستقلة تقتضى الشكر ، وقد قصرنا في أدائه ولو عطف مع شدة اتصالها وتناسبها ربما توهم أن الكل نعمة واحدة .

وتوسط العاطف بين الرابعة والخامسة رعاية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن (الشمس والقمر) علويان (والنجم والشجر) سفليان ، ومن حيث أن كلاماً من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عز وجل وخلوها عن الرابط اللفظي مع كونها خبرين للتعويل على كمال قوة الارتباط المعنوي إذ لا يتوهم ذهاب الوهم إلى كون حال (الشمس والقمر) بتسخير غيره تعالى ، ولا إلى كون سجود النجم والشجر لسواه سبحانه فكأنه قيل : الشمس والقمر بحسبانه (والنجم والشجر يسجدان) له كذا قالوه ، وفي الكشف : تبيننا لما ذكره صاحب الكشف في هذا المقام أخلى الجمل أى التى قبل الشمس والقمر بحسبان عن العاطف لأن الغرض تعديد النعم وتبكي المنكر كما يقال : زيد أغناك بعد فقر ، أعزك بعد ذل ، كثرك بعد قلة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه كأنه لما أعد نعمة حرك منه حتى يتأمل هل شكرها حق شكرها أم لا ، ثم يأخذ في أخرى ولو جئ بالعاطف صارت كواحدة ولم يكن من التحريك فى شئ ، ولما قضى الوطر من التعديد المحرك والتبكي بذكر ما هو أصل النعم على نمط رد الكلام على منهاجه الاصلى من تعداد النعم واحدة بعد أخرى على التناسب والتقارب بحرف النسق ، وفيه تنبيه على أن النعم لا تحصى فليكتف بتعديد أجلاها رتبة للغرض المذكور .

وجملة (الشمس والقمر بحسبان) ليست من أخبار المبتدا ، والزخشرى إنما سأل عن وجه الربط ، وأجاب بأن الربط حاصل بالوصل المعنوي كأنه بعد ما بكت ونبه أخذ يعد عليه أصول النعم ليثبت على ما طلب منه من الشكر ، وهذا كما تقول في المثال السابق بعد قولك : فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد دانت له أقرانك وأطاعته إخوانك وبسط نواله فيمن تحت ملكته ولم يخرج أحد من حيطة عدله ونصفته ، فلا يشك ذوارب أنها جمل

منقطعة عن الأولى إعراباً متصلة بها اتصالاً معنوياً أو رثها قطعها لأنها سبقت لغرض وهذه لآخر ، وقريب من هذا الاتصال اتصال قوله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم) الآية بقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) الآية انتهى *

وقد أبعد المغزى فيما أرى إلا أن ظاهر كلام الكشاف يقتضى كون قوله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان) من الأخبار فتأمل ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ أى خلقها مرفوعة ابتداءً لأنها كانت مخفوضة ورفعها ، والظاهر أن المراد برفعها الرفع الصورى الحسى ، ويجوز أن يكون المراد به ما يشمل الصورى والمعنوى بطريق عموم المجاز أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يرى جوازه . ورفعها المعنوى الرتبى لأنها منشأ أحكامه تعالى وقضاياه وهنزل أو امره سبحانه ومحل ملائكته عز وجل ، وقرأ أبو السمال (والسما) بالرفع على الابتداء ، ولا إشكال فيه لأن الجملة عليه اسمية معطوفة على مثلها ، وإنما الاشكال فى النصب لأنه بفعل مضمير على شريطة التفسير أى ورفع السما فتكون الجملة فعلية فان عطفت على جملة - النجم والشجر يسجدان - الكبرى لزم تخالف الجملتين المعطوفة والمعطوف عليها بالاسمية والفعلية وهو خلاف الاولى ، وإن عطفت على جملة (يسجدان) الصغرى لزم أن تكون خبراً - للنجم والشجر - مثلها ، وذلك لا يصح إذ لا عائد فيها اليهما ، وكذا يقال فى العطف على كبرى وصغرى (الشمس والقمر بحسبان) وأجاب أبو على باختيار الثانى ، وقال : لا يلزم فى المعطوف على الشئ ان يعتبر فيه حال ذلك الشئ ، وتلا باب قولهم متقلداً سيفاً وريحاً ، وبعضهم باختيار الاول ويحسن التخالف إذا تضمن نكتة ، قال الطيبي : الظاهر أن يعطف على جملة (الشمس والقمر بحسبان) ليؤذن بأن الاصل أجرى الشمس والقمر ، وأسجد النجم والشجر ، فعدل إلى معنى دوام التسخير والانقياد فى الجملتين الاوليين ، ومعنى التوكيد فى الأخيرة والسكلام فيما يتعلق بالرفع والنصب فيما إذا ولى العاطف جملة ذات وجهين مفصل فى كتب النحو ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۖ ﴾ أى شرع العدل وأمر به بأن وفر على كل مستعد مستحقه ، وفى كل ذى حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام : « بالعدل قامت السموات والأرض » أى بقيت على أبلغ نظام وأتقن إحكام ، وقال بعضهم : المراد بقاء من فيهما من الثقليين إذ لولا العدل أهلك أهل الأرض بعضهم بعضاً ، وأما الملا الأعلی فلا يقع بينهم ما يحتاج للحكم والعدل ، فذكرهم للمبالغة ، والذى اختاره أن المراد بالسموات والأرض العالم جميعه ولا شك أنه لولا العدل لم يكن العالم منتظماً . ومنشأ ما ذكره القائل ظن أن المراد بالعدل فى الحديث العدل فى الحكم لفصل الخصومات ونحوه وليس كما ظن بل المراد به عدل الله عز وجل وإعطاؤه سبحانه كل شئ خلقه . وتفسير الميزان بما ذكر هو المروى عن مجاهد . والطبرى . والاكثرين ، وهو مستعار للعدل استعارة تصريحية ؛ وعن ابن عباس . والحسن . وقتادة . والضحاك أن المراد به ما يعرف به مقادير الاشياء من الآلة المعروفة والمكيال المعروف ونحوهما ، فالمعنى خلقه موضوعاً مخفوضاً على الارض حيث علق به أحكام عبادته وقضاياهم المنزلة من السماء وما تعبد بهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم ، والمشهور أنه بهذا المعنى مجاز أيضاً من استعمال المقيد فى المطلق ، وقيل : هو حقيقة ، فالواضح لم يضعه إلا لما يعرف به المقادير على أى هيئة ومن أى جنس كان ، والناس لما ألفوا المعروف لا يكاد يتبادر إلى أذهانهم من لفظ (الميزان) سواء ، وقيل : المراد به المعروف واللفظ فيه حقيقة ولا يسلم الوضع للعام .

ورجح القولان الأخيران بأن ما بعد أشد ملائمة لهما وبين الوضع والرفع عليهما تقابل، وقد قرأ عبد الله - وخفض الميزان - والاول بأنه أتم فائدة فن ذلك بميزان ذهرك ﴿الْأَتَطْعَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أى لثلاث تطعوا فيه أى حقه وشأنه بأن تعتدوا وتتجاوزوا ما ينبغي فيه على أن (أن) ناصبة و(لا) نافية ولام العلة مقدره متعلقة بقوله تعالى: (وضع الميزان) وجوز ابن عطية . والزحشرى كون (أن) تفسيرية ، و(لا) ناهية . واعترضه أبو حيان بأنه لم يتقدم جملة فيها معنى القول وهو شرط في صحة جعل (أن) مفسرة ، وأجيب بأن وضع الميزان فيه ذلك لأنه بالوحى وإعلام الرسل عليهم السلام، وزعم بعضهم أن التفسير متعين لأنه لا معنى لوضع الميزان لثلاث تطعوا في الميزان إذ المناسب الموزون ونحوه ، وفيه ما لا يخفى، وفي البحر قرأ إبراهيم (ووضع الميزان) بإسكان الضاد ، وخفض الميزان على أن (وضع) مصدر مضاف إلى ما بعده ولم يبين هل (وضع) مرفوع أو منصوب ، فإن كان مرفوعاً فالظاهر أنه مبتدأ (وأن لا تطعوا) بتقدير الجار في موضع الخبر. وإن كان منصوباً فالظاهر أن عامله مقدر أى وفعل (وضع الميزان) أو ووضع وضع الميزان (أن لا تطعوا) الخ ، وقرأ عبدالله - لا تطعوا - بغير (أن) على إرادة القول أى قائلاً ، أو نحوه لا قل - كما قيل - و(لا) ناهية بدليل الجزم .

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ قوموا وزنكم بالعدل ، وقال الراغب: هذا إشارة إلى مراعاة المعدلة في جميع ما يتحراه الانسان من الأفعال والأقوال، وعن مجاهد أن المعنى أقيموا لسان الميزان بالعدل إذا أردتم الأخذ والإعطاء ، وقال سفيان بن عيينة: الإقامة باليد ، والقسط بالقلب، والظاهر أن الجملة عطف على الجملة المنفية قبلها ولا يضر في ذلك كونها إنشائية ، وتلك خبرية لأنها لتأويلها بالمفرد تجردت عن معنى الطلب ، وجعل بعضهم (لا) في الاولى مطلقاً ناهية حرصاً على التوافق ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۙ﴾ أى لا تنقصوه فإن من حقه أن يسوى لأنه المقصود من وضعه وكرر لفظ (الميزان) بدون إضماره كما هو مقتضى الظاهر تشديداً للتوصية وتأكيذاً للامر باستعماله والحث عليه، بل في الجمل الثلاث تكرار ما معنى لذلك، وقرئ (ولا تخسروا) بفتح التاء وضم السين، وقرأ زيد بن علي . وبلال بن أبي بردة بفتح التاء وكسر السين .

وحكى ابن جنى . وصاحب اللوامح عن بلال أنه قرأ بفتحهما ، وخرج ذلك الزحشرى على أن الاصل - ولا تخسروا في الميزان - فحذف الجار، وأوصل الفعل بناءً على أنه لم يحج إلا لازماً ، وتعقبه أبو حيان بأن خسر قد جاء متعدياً كقوله تعالى: (خسروا أنفسهم) (وخسر الدنيا والآخرة) فلا حاجة إلى دعوى الحذف والإيصال، وأجيب بأنه على تقدير أن يكون متعدياً هنا لا بد من القول بالحذف والإيصال لان المعنى على حذف المفعول به أى لا تخسروا أنفسكم في الميزان أى لا تكونوا خاسريها يوم القيامة بسبب الميزان بأن لا تراعوا ما ينبغي فيه ، والراغب جوز حمل الآية على القراءة المشهورة على نحو هذا فقال : إن قوله تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) يجوز أن يكون إشارة إلى تحمى العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يعاطاه فيه ، ويجوز أن يكون إشارة إلى تعاطى ما لا يكون به في القيامة خاسراً فيكون ممن قال سبحانه فيه : (من خفت موازينه) وكلا المعنيين متلازمان ، وقيل: المعنى على التعدى بتقدير مضاف أى موزون الميزان، أو جعل الميزان مجازاً عن الموزون فيه فتأمل ولا تنفل ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خلقتها موضوعة مخفوضة عن السماء حسبما يشاهد ، وقال الراغب: الوضع هنا الإيجاد والخلق وكان مراده ما ذكر ، وقيل: أى خفضها مدحوة على الماء ،

والظاهر على تقدير اعتبار الدحو أنه لا حاجة إلى اعتبار أنه سبحانه خلقها لذلك بل لا يصح لأنها لم تخلق مدحوة وإنما دحيت بعد على ما روى عن ابن عباس ، ثم إن كونها على الماء مبنى على ما اشتهر أنه عز وجل خلق الماء قبلها وخلقها سبحانه من زبده ﴿لَلْأَنَامِ ١٠﴾ قال ابن عباس . وقتادة . وابن زيد . والشعبي . ومجاهد على ما في مجمع البحرين : الحيوان كله ، وقال الحسن : الانس والجن .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس هم بنو آدم فقط ولم أر هذا التخصيص لغيره رضى الله تعالى عنه ، ففي القاموس الانام الخلق أو الجن والانس ، أو جميع ما على وجه الارض ، ويحتمل أنه أراد أن المراد به هنا ذلك بناءً على أن اللام للانتفاع وأنه محمول على الانتفاع التام وهو للانس أتم منه لغيرهم ، والاولى عندى ما حكى عنه أولاً ، وقرأ أبو السمال (والارض) بالرفع ، وقوله تعالى : ﴿ فِيهَا فَكَّهُةٌ ﴾ النخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لنفع الانام ، وقيل : حال مقدرة من الارض ، أو من ضميرها ، فالاحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور ، و (فاكهة) رفع على الفاعلية والتنوين بمعونة المقام للتكثير أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به ﴿ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١ ﴾ هى أوعية التمر أعنى الطلع على ما روى عن ابن عباس جمع - كم - بكسر الكاف وقد تضم ، وهذا فى - كم - الثمر ، وأما - كم - القميص فهو بالضم لا غير ، أو كل ما يكوم ويغطي من ليف وسعف وطلع فانه مما ينتفع به كالمكوم من الثمر والجوار مثلاً ، واختاره من اختاره ، وما ذكر يعلم فائدة التوصيف ﴿ وَالْحَبُّ ﴾ هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ﴿ ذُو الْعَصْفِ ﴾ قيل : هو ورق الزرع ، وقيد بعضهم باليابس ، وأخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه التبن ، وأخرج ابن جرير . وابن المنذر عن الضحاك أنه القشر الذى يكون على الحب ، وعن السدى . والفراء أنه بقل الزرع وهو أول ما ينبت ، وأخرجه غير واحد عن الخبر أيضاً ، واختار جمع ما روى عنه أولاً ، وفي توصيف الحب بما ذكر تنبيه على أنه سبحانه ما أنعم عليهم بما يقوتهم من الحب أنعم عليهم بما يقوت بهائمهم من العصف ﴿ وَالرَّيْحَانُ ١٢ ﴾ هو كل مشموم طيب الريح من النبات على ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد ، وأخرج عن الحسن أنه قال : هو ريحانكم هذا أى الريحان المعروف ؛ وأخرج عن مجاهد أنه الرزق بل قال ابن عباس : ما أخرج هو أيضاً عنه كل ريحان فى القرآن فهو رزق ، وزعم الطبرسى أنه قول الأكثر ، وعليه قول بعض الاعراب ، وقد قيل له : إلى أين أطلب من ريحان الله فانه أراد من رزقه عز وجل ، ووجه إطلاقه عليه أنه يرتاح له ، وظاهر كلام الكشف أنه أطلق وأريد منه اللب ليطابق العصف ويوافق المراد منه فى قراءة حمزة . والكسائى . والاصمعى عن أبي عمرو (والريحان) بالجر عطفاً على (العصف) إذ يبعد عليها حمله على المشموم والقريب حمله على اللب فكأنه قيل : والحب ذو العصف الذى هو رزق دوابكم ، وذو اللب الذى هو رزق لكم ، وجوز أن يكون الريحان فى هذه القراءة عطفاً على فاكهة كما فى قراءة الرفع ، والجر للمجاورة وهو كما ترى ، والزخشرى بعد أن فسر (الأكمام) بما ذكرناه ثانياً فيها (والريحان) باللزج قال : أراد سبحانه فيها ما يتلذذ به من الفواكه ، والجامع بين التغذى والتلذذ - وهو ثمر النخل - وما يتغذى به - وهو الحب - وهو على ما فى الكشف بيان لظاهر وجه الامتنان وأنه مستوعب لأقسام ما يتناول فى حال الرفاهية لأنه إنما للتلذذ الخالص وهو الفاكهة ، وأوله وللتغذى أيضاً

وهو ثمر النخل ، أو للتغذى وحده وهو الحب ، ولما كان الأخير أن أدخل في الامتنان شفع كلا بعلاوة فيها منة أيضاً ، وأنت تعلم أنه إذا كان المقصود من النخل ثمره المعروف بالعطف على أسلوب ملائكته وجبريل كما قيل به في قوله تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان) وإذا كان ما يعمه وسائر ما ينتفع به منه كالجار والكفري ، فالعطف ليس على ذلك ، وجعل صاحب الكشف قول الزمخشري بعد تفسير (الاكمام) بالمعنى الأعم وكله منتفع به كالمكوم إشارة إلى هذا ، ثم قال : ولا ينافي جعله منه في قوله تعالى : (فيها فاكهة) الخ نظراً إلى أن الجنة دار تخلص للتلذذ فالنظر هنالك إلى المقصود وهو الثمر فقط فتأمل .

وقرأ ابن عامر . وأبو حيوة . وابن أبي عتبة . والحب ذا العصف والريحان - بنصب الجميع ، وخرج على أنه بتقدير وخلق الحب الخ ، وقيل : يجوز تقدير أخص ، وفيه دغدغة ، وجوزوا أن يكون الريحان بمعنى اللب حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف . والأصل وذو أو ذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه و (الريحان) فيعلان من الروح . فأصله ريوحان قبلت الواو ياء اجتماعهما مع ياء ساكنة قبلها وأدغمت في الياء فصار ريحان بالتشديد ثم حذفت الياء الثانية التي هي عين الكلمة فقبل : ريحان كما قيل : ميت وهين بسكون الياء . وعن أبي علي الفارسي أنه فعلان وأصله روحان بفتح الراء وسكون الواو قبلت واوه ياءاً للتخفيف وللفرق بينه وبين الروحان بمعنى ماله روح ﴿ فَبَأَىءَ آلاءِ رَبِّكَما تُكذِّبان ١٣ ﴾ الخطاب للثقلين لانهما داخلان في

الانام على ما اخترناه ، أو لأن الانام عبارة عنهما على ما روى عن الحسن ، وسينطق بهما في قوله تعالى : (سنفرغ لکم آیه الثقلان) وفي الاخبار كما ستعلمه إن شاء الله تعالى قريباً ما يؤيده ، وقد أبعدهم من ذهب إلى أنه خطاب للذكر والاشئ من بني آدم ، وأبعد أكثر منه من قال : إنه خطاب على حد (ألقيا في جهنم) ويأشطرى أضرباً عنقه ، يعني أنه خطاب للواحد بصورة الاثنين والفاء لترتيب الإنكار ، والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتماً ، والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الملكية والترية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بشئ من آلائه تعالى كفرهم به إما بانكار كونه منه عز وجل مع عدم الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية ، وإما بانكار كونه منه تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده إلى غيره سبحانه استقلالاً ، أو اشتراكاً صريحاً ، أو دلالة فان إشرأ كههم لآلهمهم به تعالى في العبادة من دواعي إشرأ كههم لهابه تعالى فيما يوجبها ، والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب لا محالة أي فاذا كان الأمر كما فصل (فبأى) فرد من أفراد نعم مالكم كما ومريبكم بتلك النعم (تكذبان) مع أن كلامها ناطق بالحق شاهد بالصدق ويندب أن يقول سامع هذه الآية : لا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ، فقد أخرج البزار . وابن جرير . وابن المنذر . والدارقطني في الأفراد . وابن مردويه . والخطيب في تاريخه بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما « أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ سورة (الرحمن) على أصحابه فسكتوا فقال : مالى أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم ما أتيت على قول الله تعالى : (فبأى آلاء ربكم تكذبان) إلا قالوا : لا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » .

وأخرج الترمذي وجماعة وصححه الحاكم عن جابر بن عبد الله نحوه ، وقرئ (فبأى) بالتنوين في جميع السورة

كانه حذف منه المضاف إليه وأبدل منه (آلاء ربك) بدل معرفة من نكرة .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ١٤ ﴾ تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين ، والمراد بالانسان آدم عند الجمهور . وقيل : الجنس وساغ ذلك لأن أباهم مخلوق مما ذكر ، والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة ، وأصله - يقال الراغب - تردد الصوت من الشيء اليابس . ومنه قيل : صل المسار ، وقيل : هو الممتن من الطين من قولهم : صل اللحم ، وكان أصله صلال فقلبت إحدى اللامين صاداً ويبعد ذلك قوله سبحانه : (كالفخار) وهو الحذف أعني ما أحرق من الطين حتى تحجر وسمى بذلك لصوته إذا نقر كأنه تصور بصورة من يكثر التفاخر ، وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها وبين مناطق بأحد الآخرين ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ ١٥ ﴾ هو أبو الجن وهو إبليس قاله الحسن ، وقال مجاهد : هو أبو الجن وليس بابليس ، وقيل : هو اسم جنس شامل للجن كلهم ﴿ مِنْ مَّارِجٍ ﴾ من لُهب خالص لا دخان فيه - كما هو رواية عن ابن عباس - وقيل : هو اللهب المختلط بسواد النار ، أو بخضرة وصفرة وحمرة - كما روى عن مجاهد - من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط ، و (من) لا ابتداء غاية ، وقوله تعالى : ﴿ مِنْ نَّارٍ ١٥ ﴾ بيان لما رج والتسكير للبطابقة ولأن التعريف لكنه عليه فكأنه قيل : خلق من نار خالصة ، أو مختلطة على التفسيرين ، وجوز جعل (من) فيه ابتدائية فالتسكير لانه أريد نار مخصوصة متميزة من بين النيران لاهذه المعروفة ، وأياً ما كان فالمارج بالنسبة إلى الجان كالتراب بالنسبة إلى الانسان ، وفي الآية رد على من يزعم أن الجن نفوس مجردة ﴿ فَبَآئٍ آلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ١٦ ﴾ مما أفاض عليك في تضاعيف خلقك كما من سوايغ النعم ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧ ﴾ * خبر مبتدأ محذوف أي هو رب الخ ، أو الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة - رب مشرق الشمس صيفاً وشتاءً ومغربها - كذلك على ما أخرجه جماعة عن ابن عباس ، وروى عن مجاهد . وقتادة . وعكرمة أن (المشرقين) مشرقا الشتاء ومشرق الصيف ، و (المغربين) مغرب الشتاء ومغرب الصيف بدون ذكر الشمس ، وقيل : المشرقان مشرقا الشمس والقمر ، والمغربان مغرباهما وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن (المشرقين) مشرق الفجر ومشرق الشفق ، و (المغربين) مغرب الشمس ومغرب الشفق ، وحكى أبو حيان في المغربين نحو هذا ، وفي المشرقين أنهما مطلع الفجر ومطلع الشمس والمعول ما عليه إلا كثرون من مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ، ومن قضية ذلك أن يكون سبحانه رب ما بينهما من الموجودات ، وقيل : (رب) مبتدأ والخبر قوله تعالى : (مرج) الخ ، وليس بذلك *

وقرأ أبو حيوة . وابن أبي عبله (رب) بالجر على أنه بدل من ربك ﴿ فَبَآئٍ آلَاءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ١٨ ﴾ بما في ذلك من فوائد لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ١٩ ﴾ أي أرسلهما وأجراهما من - مرجت - الدابة - في المرعى - أرسلتها فيه ، والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿ يَلْتَقِيَانِ ٢٠ ﴾ أي يتجاوزان وتتماش سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين ، وقيل : أرسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه ، وروى هذا عن قتادة لكنه

أورد عليه أنه لا يوافق قوله تعالى: (مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، وعليه قيل : جملة (يلتقيان) حال مقدرة إن كان المراد - إرسالهما إلى المحيط ، أو المعنى اتحاد أصليهما إن كان المراد إرسالهما إليه ﴿ يَدْنُهُمَا بَرَزَخٌ ﴾ أى حاجز من قدرة الله تعالى ، أو من أجرام الارض كما قال قتادة ﴿ لَا يَبْغِيَانِ ٢٠ ﴾ أى لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية بالسكية بناءً على الوجه الأول فيما سبق ، أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما بناءً على الوجه الثاني ، وروى هذا عن قتادة أيضاً ، وفي معناه ما أخرجه عبد الرزاق . وابن المنذر عن الحسن (لا يبغيان) عليكم فيغرقانكم ، وقيل : المعنى لا يطلبان حالاً غير الحال التي خلقا عليها وسخرها لها ﴿ فَبَئِىَ ءَالَاءُ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ٢١ ﴾ مما لكما في ذلك من المنافع ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ٢٢ ﴾ كباره كما أخرج ذلك عبد بن حميد . وابن جرير عن علي كرم الله تعالى وجهه . ومجاهد ، وأخرجه عبد عن الربيع . وجماعة منهم المذكوران . وابن المنذر . وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس ، وأخرج ابن جرير عنه أنه قال : (اللؤلؤ) ما عظم منه (والمرجان) اللؤلؤ الصغاره وأخرج هو . وعبد الرزاق . وعبد بن حميد عن قتادة نحوه ، وكذا أخرج ابن الأنباري في الوقف والابتداء عن مجاهد ، وأظن أنه إن اعتبر في اللؤلؤ معنى التلاؤلؤ واللبعان وفي المرجان معنى المرج والاختلاط فالأوفق لذلك ما قيل : ثانياً فيهما ، وأخرج عبد الرزاق . والفريابي . وعبد بن حميد . وابن جرير . وابن المنذر . والطبري عن ابن مسعود أنه قال : - المرجان - الخرز الأحمر أعنى البسذ وهو المشهور المتعارف ، و (اللؤلؤ) عليه شامل للسكار والصغار ، ثم إن اللؤلؤ بناء غريب قيل : لا يحفظ منه في كلام العرب أكثر من خمسة هو ، والجؤجؤ الصدر وقرية بالبحرين ، والدؤدؤ آخر الشهر أو ليلة خمس وست وسبع وعشرين . أو ثمان وتسع وعشرين . أو ثلاث ليال من آخره ، والبؤبؤ بالباء الموحدة الاصل . والسيد الظريف . ورأس المكحلة . وإنسان العين . ووسط الشيء ، واليؤيؤ بالياء آخر الحروف طائر كالباشق ، ورأيت في كتب اللغة على هذا البناء غيرها وهو الضؤؤؤ الأضل للطائر . والتؤؤؤ بالنون المكشور تقلب الحدة . والعاجز الجبان ، ومن ذلك شؤشؤ دعاء الحمار إلى الماء وزجر الغنم والحمار للبضى . أو هو دعاء للغنم لتأكل ، أو تشرب . وأما المرجان فقد ذكره صاحب القاموس في مادة - مرج - ولم يذكر ما يفهم منه أنه مغرب ، وقال أبو حيان في البحر : هو اسم أعجمي مغرب . وقال ابن دريد : لم أسمع فيه بفعل متصرفه وقرأ طلحة - اللؤلؤ - بكسر اللام الأخيرة . وقرئ اللؤلؤ بقلب الهمزة المتطرفة باءاً ساكنة بعد كسر ما قبلها وكل من ذلك لغة . وقرأ نافع . وأبو عمرو (يخرج) مبنياً للفعول من الإخراج ، وقرئ (يخرج) مبنياً للفاعل منه ونصب (اللؤلؤ والمرجان) أى يخرج الله تعالى . واستشكلت الآية على تفسير البحرين بالعذب والمالح دون بحري فارس والروم بأن المشاهد خروج (اللؤلؤ والمرجان) من أحدهما وهو الملح . فكيف قال سبحانه : (منهما) ؟ وأجيب بأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال : يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميعه ولكن من بعضه ، وكما تقول خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره ، وقد ينسب إلى الاثنين ما هو لاحدهما كما يسند إلى الجماعة ما صدر من واحد منهم . ومثله على ما في الاتصاف (على رجل من القريتين عظيم) وعلى ما نقل عن الزجاج

(سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) ، وقيل : إنهما لا يخرجان إلا من ملتقى العذب والملح ويرده المشاهدة وكأن من ذكره مع ما تقدم لم يذكره لكونه قولا آخر بل ذكره لتقوية الاتحاد فيثبت تكون علاقة التجوز أقوى . وقال أبو علي الفارسي : هذا من باب حذف المضاف والتقدير يخرج من أحدهما وجعل (من القرينين) من ذلك . وهو عندى تقدير معنى لا تقدير إعراب . وقال الرماني : العذب منهما كاللحاح للمالح فهو كما يقال الولد يخرج من الذكر والاثني أى بواسطتهما ، وقال ابن عباس ، وعكرمة : تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر لأن الأصداف في شهر نيسان تتلقى ماء المطر بأفواهها فتكون منه ، ولذا تقل في الجذب ، وجعل عليه ضمير (منهما) للبحرين باعتبار الجنس ولا يحتاج إليه بناء على ما أخرجه ابن جرير عنه أن المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض *

وأخرج هو . وابن المنذر عن ابن جبير نحوه إلا أن في تكون المرجان بناء على تفسيره بالبسد من ماء المطر كاللؤلؤ تردداً وإن قالوا : إنه يتكون في نيسان ، وقال بعض الأئمة : ظاهر كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام الناس ، ومن علم أن اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب وهب أن الغواصين ما أخرجه إلا من الملح ، ولكن لم قلتم أن الصدف لا يخرج بأمر الله تعالى من الماء العذب إلى الماء المالح فإن خروجه محتتمل تلذذاً بالملوحة كما تلذذ المتوحمة بها في أوائل حملها حتى إذا خرج لم يمكنه العود ، وكيف يمكن الجزم بما قلتم وكثير من الأمور الأرضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى أمر ما في قعر البحر عليهم ، والله تعالى أعلم (ومن غريب التفسير) ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال : (مرج البحرين يلتقيان) على . وفاطمة رضى الله تعالى عنهما (بينهما برزخ لا يبغيان) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما *

وأخرج عن إياس بن مالك (١) نحوه لكن لم يذكر فيه البرزخ ، وذكر الطبرسي من الإمامية في تفسيره مجمع البيان الأول بعينه عن سلمان الفارسي . وسعيد بن جبير . وسفيان الثوري ، والذي أراه أن هذا إن صح ليس من التفسير في شيء بل هو تأويل كتأويل المتصوفة لكثير من الآيات ، وكل من على . وفاطمة رضى الله تعالى عنهما عندى أعظم من البحر المحيط علماً وفضلاً ، وكذا كل من الحسين رضى الله تعالى عنهما أبهى وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتب جاوزت حد الحسبان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ٢٣﴾ بما في ذلك من الزينة والمنافع الجليلة فقد ذكر الأطباء أن (اللؤلؤ) يمنع الخفقان . والبحر . وضعف الكبد . والكلبي . والحصى . وحرقة البول . والسدد . واليرقان . وأمراض القلب . والسوم . والوسواس . والجنون . والتوحش . والربو شرباً . والجذام . والبرص . والبهق . والآثار مطلقاً بالطلى إلى غير ذلك ، وأن المرجان أعنى البسد يفرح ويزيل فساد الشهوة ولو تعليقاً . ونفت الدم . والطحال شرباً . والدمعة . والبياض . والسلاق . والجرب كحلا إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتبهم ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ السفن جمع جارية وخصها سبحانه بأنها له وهو تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهن للإشارة إلى أن كونهم هم منشئها لا يخرجها من ملكه عز وجل حيث كان تمام منفعتها إنما هو منه عز وجل ، وقرأ عبد الله . والحسن . وعبد الوارث عن أبي عمرو - الجوار -

ياظهار الرفع على الراء لان المخذوف لما تناسوه أعطوا ما قبل الآخر حكمة كما في قوله :
لها ثنيايا أربع حسان وأربع فكلها (ثمان)

﴿ الْمُنْشآت ﴾ أي المرفوعات الشرع - كما قال مجاهد - من أنشأه بمعنى رفعه ، وقيل : المرفوعات على الماء وليس بذاك ، وكذا ما قبل المصنوعات ، وقرأ الأعمش . وحمة . وزيد بن علي . وطلحة . وأبو بكر بخلاف عنه (المنشآت) بكسر الشين أي الرافعات الشرع ، أو اللاتي ينشئن الامواج بحريهن ، أو اللاتي ينشئن السير إقبالا وإدبار ، وفي الكل مجاز ، وشد الشين ابن أبي عبلة ، وقرأ الحسن (المنشآت) وحد الصفة ودل على الجمع الموصوف كقوله تعالى : (أزواج مطهرة) وقلب الهمزة ألفا على حد قوله * إن السباع (لتهدا) في مراضها * يريد لتهدا والتاء لتأنيث الصفة كتبت تاءاً على لفظها في الاصل ﴿ فِي الْبَحْرِ كَأَلَّا عَلَّم ٢٤ ﴾ كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿ فَبَآئٍ ءَالًا رَبُّكَ كَتُكْذِبَان ٢٥ ﴾ من خلق مواد السفن والارشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وتعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ أي على الارض التي وضعت للانام من الحيوانات والمركبات و(مَنْ) للتغليب ؛ أولئك الذين ﴿ فَان ٢٦ ﴾ هالك ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أي ذاته عز وجل ، والمراد هو سبحانه وتعالى ، فالإضافة بيانية وحقيقة الوجه في الشاهد الجارحة واستعماله في الذات مجاز مرسل كاستعمال الأيدي في الانفس ، وهو مجاز شائع ، وقيل : أصله الجهة واستعماله في الذات من باب الكناية وتفسيره بالذات هنا مبني على مذهب الخلف القائلين بالتأويل ، وتعيين المراد في مثل ذلك دون مذهب السلف ، وقد قرئنا لك غير مرة فتذكره وعض عليه بالنواجذ *

والظاهر أن الخطاب في - ربك - للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تشریف عظيم له عليه الصلاة والسلام ، وقيل : هو للصالح له لعظم الأمر وغامته ، وفي الآية عند المؤولين كلام كثير منه ماسمعت ، ومنه ما قيل : الوجه بمعنى القصد ويراد به المقصود ، أي ويبقى ما يقصده ربك عز وجل من الأعمال ، وحمل كلام من فسر بالعمل الصالح على ذلك وفيه ما فيه ، وأقرب منه ما قيل : وجهه تعالى الجهة التي أمرنا عز وجل بالتوجه إليها والتقرب بها إليه سبحانه ، ومرجع ذلك العمل الصالح أيضاً والله جل شأنه يبقيه للعبد إلى أن يجازيه عليه ولذا وصف بالبقاء ؛ أو لأنه بالقبول صار غير قابل للفناء لما أن الجزاء عليه قام مقامه وهو باق ، ولا يخفى أن كلا القولين غير مناسب للتعليم في (كل من عليها) وقيل : وجهه سبحانه الجهة التي يليها الحق أي يتولاهابفضله ويفيضها على الشيء من عنده أي إن ذلك باق دون الشيء في حد ذاته فانه فان في كل وقت ، وقيل : المراد بوجهه سبحانه وجهه الممكن وهي جهة حيثية ارتباطه وانتسابه إليه تعالى ، والإضافة لأدنى ملاسة فالممكن في حد ذاته أي إذا ... مستقلاً غير مرتبط بعلته أعني الوجود الحق كان معدوماً لان ظهوره إنما نشأ من العلة ولولاها لم يكن شيئاً مذكوراً ، وقول العلامة البيضاوي : لو استقرت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله تعالى أي الوجه الذي يلي جهته سبحانه محمول على ذلك عند بعض المحققين وإن كان قد فسر الوجه قبل بالذات ، وللعلماء في تقرير كلامه اختلاف ، فمنهم من يجعل قوله : لو استقرت الخ تنمة لتفسيره الأول ،

ومنهم من يجعله وجهاً آخر ، وهو على الأول أخذ بالخاص ، وعلى الثاني قيل : يحتمل التطبيق على كل من مذاهب في الممكنات الموجودة ، وذلك أنها إما موجودة حقيقة بمعنى أنها متصفة بالوجود اتصافاً حقيقياً بأن يكون الوجود زائداً عليها قائماً بها ، وهو مذهب جمهور الحكياء . والمتكلمين ، وإمام موجوده مجازاً وليس لها اتصاف حقيقى بالوجود بأن يكون الوجود قائماً بها بل إطلاق الوجود عليها كإطلاق الشمس على الماء ، وإليه ذهب المتأهلون من الحكياء . والمحققون من الصوفية إلا أن ذوق المتأهلين أن علاقة المجاز أن لها نسبة مخصوصة إلى حضرة الوجود الواجب على وجوه مختلفة وأنحاء شتى ، والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق ، فالوجود عندهم جزئى حقيقى قائم بذاته لا يتصور عروضة لشيء ولا قيامه به ومعنى كون الممكن موجوداً أنه مظهر له ومجلى ينجلي فيه نوره - فالله نور السموات والأرض - والممكنات بمنزلة المرايا المختلفة التى تنعكس إليها أشعة الشمس وينصنع كل منها بصنع يناسبه ، ومذاق المحققين من الصوفية أن علاقة المجاز أنها بمنزلة صفات قائمة بذات الواجب سبحانه إذ ليس فى الوجود على مذاقهم ذوات متعددة بعضها واجب وبعضها ممكن بل ذات واحدة لها صفات متكررة وشئون متعددة وتجايات متجددة (قل الله ثم ذرهم) والمشهور أنه لا فرق بين المذاقين . ووجه التطبيق على الأول أن يقال : المراد من الوجه الذى يلى جهته تعالى هو الوجوب بالغير إذ الممكن - وإن كان موجوداً حقيقة عند الجمهور - لكن وجوده مستفاد من الواجب بالذات ، وجهة الاستفادة ليست هى الذات ولا شيئاً آخر من الجهات والوجوه كالأمكن . والمعلولية . والجوهرية . والعرضية . والبساطة . والتركيب وسائر الأمور العامة لان كلاً منها جهته الحسة ، ومقتضى الفطرة الإمكانية البعيدة بمراحل عن الوجوب الذاتى المنافية له ، وإنما جهة الشرف القريبة المناسبة للوجوب الذاتى جهة الوجوب بالغير فهو وجه يلى جهة الواجب ويناسبه فى كونه وجوباً وإن كان بالغير ، ولذا يعقبه فيضان الوجود ، ولذا تسمعونهم يقولون : الممكن مالم يجب لم يوجد *

ووجه التطبيق على الثانى أن يقال : الوجه الذى يلى جهته تعالى هو تلك النسبة المخصوصة المصححة لإطلاق لفظ الوجود عليها ولو مجازاً . فالمعنى (كل من عليها فان) معدوم لا يصح أن يطلق لفظ الوجود عليه ولو مجازاً إلا باعتبار الوجه الذى يلى جهته تعالى أى النسبة المخصوصة إلى حضرة تعالى . هى كونه مظهراً له سبحانه ، ووجه التطبيق على الثالث أن يقال : المراد بالوجه الذى يلى جهته تعالى كونه شئونات واعتبارات له تعالى . فالمعنى (كل من عليها) معدوم من جميع الوجوه والاعتبارات إلا من الوجه الذى يلى جهته سبحانه والاعتبار الذى يحصل مقيساً إليه عز وجل ، وهو كونه شأناً من شئونه واعتباراً من اعتباراته جل شأنه فتأمل مستعيناً بالله عز وجل . ﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٢٧ ﴾ أى يحله الموحدون عن التشبيه بخلقه ويثبتون له ما يليق بشأنه تعالى شأنه فهذا راجع إلى ماله سبحانه من التعظيم فى قلوب من عرفه عز وجل أو الذى يقال فى شأنه : ما أهلك وما أكرمك أى هو سبحانه من يستحق أن يقال فى شأنه ذلك قيل أو لم يقل فهو راجع إلى ماله تعالى من الكمال فى نفسه باعتبار قصور الإدراك عن شأه ، أو من عنده الجلال والإكرام للموحدين فهو راجع إلى الفعل أى يحل الموحدين ويكرمهم ، وفسر بعض المحققين (الجلال) بالاستغناء المطلق (والاكرام) بالفضل التام وهذا ظاهر ، ووجه الأول بأن الجلال العظمة وهى تقتضى ترفعه تعالى عن الموجودات ويستلزم أنه سبحانه غنى عنها ، ثم ألحق بالحقيقة ، ولذا قال الجوهرى : عظمة الشئ الاستغناء عن غيره وكل محتاج حقير ، وقال الكرماني :

إنه تعالى له صفات عدمية مثل (لا شريك له) وتسمى صفات الجلال لما أنها تؤدي بحل عن كذا جل عن كذا و صفات وجودية - كالحياء . والعلم - وتسمى صفات الإكرام ، وفيه تأمل .
والظاهر أن (ذو) صفة للوجه ، ويتضمن الوصف بملذ كر على ما ذكره البعض الإشارة إلى أن فناء (من عليها) لا يخل بشأنه عز وجل لأنه الغنى المطلق ، والإشارة إلى أنه تعالى بعد فنائهم يفيض على الثقلين من آثار كرمه ما يفيض وذلك يوم القيامة ، ووصف الوجه بما وصف يبعد كونه عبارة عن العمل الصالح أو الجهة على ما سمعت آنفاً وكأن من يقول بذلك يقول : (ذو) خبر مبتدا محذوف هو ضمير راجع إلى الرب وهو في الأصل صفة له ، ثم قطعت عن التبعية ، ويؤيده قراءة أبي . وعبد الله - ذي الجلال - بالياء على أنه صفة تابعة للرب ، وذكر الراغب أن هذا الوصف قد خص به عز وجل ولم يستعمل في غيره ، فهو من أجل أوصافه سبحانه ، ويشهد له ما رواه الترمذي عن أنس . والامام أحمد عن ربيعة بن عامر مرفوعاً « أظنوا ياذا الجلال والإكرام » أي الزموا واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم ، وروى الترمذي . وأبو داود . والنسائي عن أنس « أنه كان مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورجل يصلي ثم دعا فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : لأصحابه أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » *

﴿ فَبَأَى آءِآءِ رَبِّكَ أَنْ تُكَذِّبَآءِ ٢٨ ﴾ مما يتضمنه ما ذكره فان الفناء باب للبقاء ، والحياء الأبدية ، والإثابة بالنعمة السرمدية ، وقال الطيبي : المراد من الآية السابقة ملزوم معناها لأنها كناية عن مجي وقت الجزاء وهو من أجل النعم ، ولذلك خص (الجلال والإكرام) بالذكر لأنهما يدلان على الإثابة والعقاب المراد منها تخويف العباد وتحذيرهم من ارتكاب ما يترتب عليه العقاب ، والتحذير من مثل ذلك نعمة ، فلذا رتب عليها بالفاء قوله تعالى : (فَبَأَى آءِآءِ) الخ ، وليس بذلك ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قاطبة ما يحتاجون إليه في ذواتهم حدوداً وبقاماً وفي سائر أحوالهم سؤالاً مستمراً بلسان المقال أو بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الإلهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلاً فهم في كل آن سائلون *
وأخرج عبد بن حميد . وابن المنذر عن أبي صالح (يسأله من في السموات) الرحمة ، ومن في الأرض - المغفرة والرزق ، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج (يسأله) الملائكة عليهم السلام الرزق لأهل الأرض والمغفرة . وأهل الأرض يسألونها جميعاً وما تقدم أولى . ولا دليل على التخصيص .
والظاهر أن الجملة استئناف . وقيل : هي حال من - الوجه - والعامل فيها (يبقى) أي هو سبحانه دائم في هذه الحال ، ولا يخفى حاله على ذي تمييز ﴿ كُلَّ يَوْمٍ ﴾ كل وقت من الاوقات ولحظة من اللحظات *

﴿ هُوَ فِي شَأْنِ ٢٩ ﴾ من الشئون التي من جملتها إعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصاً ، ويفي آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته عز وجل المبنية على الحكم البالغة ، وأخرج البخاري في تاريخه . وابن ماجه . وابن حبان . وجماعة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية : « من شأنه

أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين » زاد البزار « ويحب داعياً » ، وقيل : إن الله تعالى في كل يوم ثلاث عساكر . عسكر من الاصلاب إلى الارحام . وعسكر من الارحام إلى الدنيا . وعسكر من الدنيا إلى القبور ، والظاهر أن المراد بيان كثرة شئونه تعالى في الدنيا فكل يوم على معنى كل وقت من أوقات الدنيا .

وقال ابن عينة : الدهر عند الله تعالى يومان ، أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشاؤه فيه الأمر والنهي والإماتة والاحياء . وثانيهما اليوم الذي هو يوم القيامة فشأؤه سبحانه فيه الجزاء والحساب ، وعن مقاتل إن الآية نزلت في اليهود قالوا : إن الله تعالى لا يقضى يوم السبت شيئاً فرد عز وجل عليهم بذلك ، وسأل عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الآية وما صح من أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة فقال : شئون يديها لا شئون يبتديها ، واتصّب (كل يوم) على الظرف ، والعامل فيه هو العامل في قوله تعالى : (في شأن) ، (هو) ثابت المحذوف : فكأنه قيل هو ثابت في شأن كل يوم ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٠ ﴾ بما يسعف به سؤالك وما يخرج لكما يبيده من مكنّ العدم حيناً فحيناً ﴿ سَفَرُغُ لَكُمْ ﴾ الفراغ في اللغة يقتضى سابقة شغل . والفراغ للشئ يقتضى لاحقيقته أيضاً ، والله سبحانه لا يشغله شأن عن شأن فجعل انتهاء الشئون المشار إليها بقوله تعالى : (كل يوم هو في شأن) يوم القيامة إلى واحد هو جزاء المكلفين فراغاً لهم على سبيل التمثيل لأن من ترك أشغاله إلى شغل واحد يقال : فرغ له ، واليه فشبّه حال هؤلاء . وأخذته تعالى في جزائهم فحسب بحال من فرغ له ، وجازت الاستعارة التصريحية التبعية في (سفر فرغ) بأن يكون المراد سناخذ في جزائكم فقط الاشتراك الاخذ في الجزاء فقط ، والفراغ عن جميع المهام إلى واحد في أن المعنى به ذلك الواحد ، وقيل : المراد التوفر في الانتقام والنكاية ، وذلك أن الفراغ للشئ يستعمل في التهديد كثيراً كأنه فرغ عن كل شئ لأجله فلم يبق له شغل غيره فيدل على التوفر المذكور ، وهو كناية فيمن يصح عليه ، ومجاز في غيره كالذي نحن فيه ، ولعل مراد ابن عباس . والضحاك بقولها - كما أخرج ابن جرير عنها - هذا وعيد من الله تعالى لعباده ماذكر ، والخطاب عليه قيل : للجرمين ، وتعقب بأن النداء الآتي يأباه ، نعم المقصود بالتهديد هم ، وقيل : لآمنع من تهديد الجميع ، ثم إن هذا التهديد إنما هو بما يكون يوم القيامة ، وقول ابن عطية : يحتمل أن يكون ذلك توعداً بعذاب الدنيا بما لا يكاد يلتفت إليه ، وقيل : إن فرغ يكون بمعنى قصد ، واستدل عليه بما أنشده ابن الأنباري لجرير :

الآن وقد (فرغت) إلى غير فهذا حين كنت لهم عذاباً

أى قصدت ، وأنشد النحاس : فرغت إلى العبد المقيد في الحجل . وفي الحديث « لا تفرغ لك يا خبيث » قاله صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطباً به أرب العقبة يوم بيعتها أى لا قصدن إبطال أمرك ، ونقل هذا عن الخليل . والكسائي . والفرأ ، والظاهر أنهم حملوا ما في الآية على ذلك ، فالمراد حينئذ تعلق الإرادة تعلقاً تجزئياً بجزائهم ، وقرأ حمزة . والكسائي . وأبو حيوة . وزيد بن علي - سيفرغ - بياء الغيبة ، وقرأ قتادة . والاعرج (سفر فرغ) بنون العظمة . وفتح الراء مضارع فرغ بكسرهما - وهو لغة تميم - كما أن (سفر فرغ) في قراءة الجمهور مضارع فرغ بفتحها لغة الحجاز ، وقرأ أبو السمال . وعيسى (سفر فرغ) بكسر النون وفتح الراء وهي - على ما قال أبو حاتم - لغة سفلى مضر ، وقرأ الأعشى . وأبو حيوة بخلاف عنهما . وابن أبي عتبة . والزعفراني

- سيفرغ - بضم الياء وفتح الراء مبنياً للمفعول؛ وقرأ عيسى أيضاً (سيفرغ) بفتح النون وكسر الراء ، والاعرج أيضاً - سيفرغ - بفتح الياء والراء وهى لغة ، وقرأ سافرغ بهمزة المتكلم وحده، وقرأ أبى (سيفرغ) إليكم عداه إلى قليل: للحمل على القصد، أو لتضمنه معناه أى (سيفرغ) قاصدين إليكم ﴿ آيَةُ الثَّقَلَانِ ٣١ ﴾ هما الانس والجن من ثقل الدابة وهو ما يحمل عليها جعلت الارض كالخولة والانس والجن ثقلاها، وما سواهما على هذا كالعلاوة، وقال غير واحد: سميا بذلك لثقلهما على الارض ، أولرزانة رأيهما وقدرهما وعظم شأنهما ، ويقال لكل عظيم القدر بما يتنافس فيه : ثقل ، ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى» وقيل: سميا بذلك لأنهما مثقلان بالتكليف ، وعن الحسن لثقلهما بالذنوب ﴿ فَبَايَءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٢ ﴾ التى من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى إلى سوء الحساب ﴿ يَمْعَشَرُ الْجَنُّ وَالْأَنسُ ﴾ هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخطبوا بما ينبىء عن ذلك ليبان أن قدرتهم لا تنفى بما كلفوه وكأنه لما ذكر سبحانه أنه مجاز للعباد لا محالة عقب عز وجل ذلك ببيان أنهم لا يقدرّون على الخلاص من جزائه وعقابه إذا أَرَادَهُ فقال سبحانه : (يامعشر الجن والانس) ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ إن قدرتم ، وأصل الاستطاعة طلب طواعية الفعل وتأنيه *

﴿ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هارين من الله تعالى فارين من قضائه سبحانه ﴿ فَانْفُذُوا ﴾ فاخرجوا منها وخلصوا أنفسكم من عقابه عز وجل ، والأمر للتعجيز ﴿ لَا تَنْفُذُونَ ﴾ لا تقدرّون على النفوذ ﴿ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ٣٣ ﴾ أى بقوة وقهر وأتم عن ذلك بمعزل وألف ألف منزل، روى أن الملائكة عليهم السلام ينزلون يوم القيامة فيحيطون بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة أحاطت به، وقيل: هذا أمر يكون فى الدنيا ، قال الضحاك : بينا الناس فى أسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة فتهرب الجن والانس فتحقق بهم الملائكة وذلك قليل قيام الساعة، وقيل: المراد إن استطعتم الفرار من الموت ففروا، وقيل: المعنى إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا بما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن (لا تنفذون) ولا تعلمون إلا بيئته وحجة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بأفكاركم، وروى ما يقاربه عن ابن عباس والأنسب بالمقام لا يخفى *

وقرأ زيد بن على إن استطعتم رعاية للنوعين وإن كان تحت كل أفراد كثيرة واجمع لرعاية تلك الكثرة وقد جاء كل فى الفصح نحو قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)

﴿ فَبَايَءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤ ﴾ أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة، وقيل : على الوجه الآخر فيما تقدم أى بما نصب سبحانه من المصاعد العقلية والمعارج الثقيلة فتنفذون بها إلى ما فوق السموات العلا ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا ﴾ استئناف فى جواب سؤال مقدر عن الداعى للفرار أو عما يصيبهم أى يصب عليكم ﴿ شَوَاطِئَ ﴾ هو اللهب الخالص كما روى عن ابن عباس ، وأنشد عليه أبو حيان قول حسان :
هجوئك فاختضعت لنا بذل بقافية تأجج (كالشواط)

وقيل : اللهب المختلط بالدخان، وقال مجاهد : اللهب الأحمر المنقطع، وقيل : اللهب الأخضر، وقال الضحاك : الدخان الذي يخرج من اللهب، وقيل : هو النار والدخان جميعاً، وقرأ عيسى . وابن كثير . وشبل (شواظ) بكسر الشين ﴿مِّنْ نَّارٍ﴾ متعلق - يرسل - أو بمضمر هو صفة - لشواظ - و (من) ابتدائية أى كائن من نار والتنوين للتفخيم ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ هو الدخان الذي لاهب فيه كما قاله ابن عباس لنافع بن الأزرق وأنشدله قول الأعشى ، أو النابغة الجعدي :

تضئ كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه (نحاساً)

وروى عنه أيضاً، وعن مجاهد أنه الصفر المعروف أى يصب على رموس كما صفر مذاب، والراغب فسرهُ باللهب بلا دخان ثم قال : وذلك لشبهه في اللون بالنحاس، وقرأ ابن أبي إسحق . والنخعي . وابن كثير . وأبو عمرو (ونحاس) بالجر على أنه عطف على نار، وقيل : على (شواظ) وجر للجوار فلا تغفل *
وقرأ الكلبي . وطلحة . ومجاهد بالجر أيضاً لكنهم كسروا النون وهو لغة فيه، وقرأ ابن جبير - ونحاس - كما تقول يوم نحس، وقرأ عبد الرحمن بن أبي بكرة . وابن أبي إسحق أيضاً - ونحاس - مضارعاً، وماضيه حسه أى قتله أى ونقتل بالعذاب، وعن ابن أبي إسحق أيضاً - ونحاس - بالحرركات الثلاث في الحاء على التخيير . وحظلة ابن عثمان - ونحاس - بفتح النون وكسر السين، والحسن . وإسماعيل - ونحاس - بضم النون والكسر، وهو جمع - نحاس - كل حاف ولحف، وقرأ زيد بن علي - نرسل - بالنون - شواظاً - بالنصب - ونحاساً - كذلك عطفاً على شواظاً

﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ ٣٥﴾ فلا تمتنعان وهذا عند الضحاك في الدنيا أيضاً *

أخرج ابن أبي شيبة عنه أنه قال في الآية : تخرج نار من قبل المغرب تحشر الناس حتى إنها تحشر القردة والخنازير تبيت معهم حيث باتوا وتقيل حيث قالوا، وقال في البحر : المراد تعجيز الجن والانس أى أتبأ بحال من يرسل عليه هذا فلا يقدر على الامتناع مما يرسل عليه ﴿فَبَآئِيَ الْآءِ رَبُّكَ كَذَّبَانَ ٣٦﴾ فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء ﴿فَإِذَا انشَقَّتْ أَسْمَاءُ﴾ أى انصدعت يوم القيامة، وحديث امتناع الخرق حديث خرافة، ومثله ما يقوله أهل الهيئة اليوم في السماء على أن الانشقاق فيها على زعمهم أيضاً متصور ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أى كالوردية في الحمرة، والمراد بها النور المعروف قاله الزجاج . وقتادة، وقال ابن عباس . وأبو صالح : كانت مثل لون الفرس الورد، والظاهر أن مرادها كانت حمراء *
وقال الفراء : أريد لون الفرس الورد يكون في الربيع إلى الصفرة، وفي الشتاء إلى الحمرة، وفي اشتداد البرد إلى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وروى هذا عن الكلبي أيضاً، وقال أبو الجوزاء : (وردة) صفراء والمعول عليه إرادة الحمرة، ونصب (وردة) على أنه خبر - كان -، وفي الكلام تشبيه بليغ، وقرأ عبيد بن عمير (وردة) بالرفع على أن - كان - تامة أى فحصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد لانه بمعنى كانت منها، أو فيها سماء وردة مع أن المقصود أنها نفسها كذلك فهو كقول قتادة بن مسلبة :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة نحو المغانم أو يموت كريم

حيث عني بالكريم نفسه، وقوله تعالى : ﴿كَأَلْهَآنِ ٣٧﴾ خبر ثان لكانت - أو نعت - لوردة - أو حال

من اسم - كانت - على رأى من أجازة أى كدهن الزيت كما قال تعالى : (كالمهل) وهو دردى الزيت ، وهو إما جمع دهن كقرط وقرط ، أو اسم لما يدهن به كالخزام والادام ، وعليه قوله فى رصف عينين كثيرى التذارف :

كأنهما مرادتا متعجل فریان لما تدهنا (بدهان)

وهو الدهن أيضا إلا أنه أخص لأنه الدهن باعتبار إشرابه الشئ، ووجه الشبه الذوبان وهو فى السماء على م قيل من حرارة جهنم وكذا الحمرة ، وقيل : اللمعان ، وقال الحسن : أى كالدهان المختلفة لأنها تتلون ألوانا ، وقال ابن عباس : الدهان الأديم الأحمر ، ومنه قول الاعشى :

وأجرد من كرام الخيل طرف كأن على شواكله (دهان)

وهو مفرد ، أو جمع ، واستدل للثانى بقوله :

تبعن (الدهان) الحمر كل عشية بموسم بدر أو بسوق عكاظ

وإذا شرطية جوابها مقدر أى كان ما كان مما لا تطيقه قوة البيان ، أو وجدت أمراً هائلاً ، أو رأيت ما يذهل الناظرين وهو الناصب لإذا ، ولهذا كان مفعلاً ومسبباً عما قبله لأن فى إرسال الشواظ ما هو سبب لحدوث أمر هائل ، وأرويته فى ذلك الوقت ﴿ فَبَإِىَّ الْآلَاءِ رَبُّكُمْ تَكْذِبَانِ ٣٨ ﴾ فان الاخبار بنحو ما ذكر بما يزرع عن الشر فهو لطف أى لطف ونعمة أى نعمة ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أى يوم إذ تنشق السماء حسبما ذكر .

﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ٣٩ ﴾ لأنهم يعرفون بسيماهم وهذا فى موقف ، وما دل على السؤال من نحو قوله تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين) فى موقف آخر قاله عكرمة . وقادة ، وموقف السؤال على ما قيل : عند الحساب ، وترك السؤال عند الخروج من القبور ، وقال ابن عباس : حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقدير ، وحيث نفى فهو استخبار محض عن الذنب ، وقيل : المنفى هو السؤال عن الذنب نفسه والمثبت هو السؤال عن الباعث عليه ، وأنت تعلم أن فى الآيات ما يدل على السؤال عن نفس الذنب .

وحكى الطبرسى عن الرضا رضى الله تعالى عنه أن من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب عذب فى البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه ، ولعمري إن الرضا لم يقل ذلك ، وحمل الآية عليه بما لا يلتفت إليه بعين الرضا كما لا يخفى ، وضمير ذنبه للانس وهو متقدم رتبة لأنه نائب عن الفاعل ، وإفراده باعتبار اللفظ ، وقيل : لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل : لا يسأل عن ذنبه إنسى ولا جنى ، وقرأ الحسن . وعمر بن عبيد - ولا جان -

بالهمز فراراً من التقاء الساكنين وإن كان على حده ﴿ فَبَإِىَّ الْآلَاءِ رَبُّكُمْ تَكْذِبَانِ ٤٠ ﴾ يقال فيه نحو ما سمعت فى سابقه ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ استئناف يجرى مجرى التعليل لاتقاء السؤال ، و (المجرمون) قيل : من وضع الظاهر موضع الضمير للإشارة إلى أن المراد بعض من الانس وبعض من الجن وهم المجرمون فيكون ذلك كقوله تعالى : (لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) ، و - سيماهم - على ما روى عن الحسن سواد الوجوه وزرقة العيون ، وقيل : ما يعلوهم من الكتابة والحزن ، وجوز أن تكون أمورا آخر - كالعنى . والبكم . والصمم - .

وقرأ حماد بن سليمان بسيماهم ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي ﴾ جمع ناصية وهى مقدم الرأس ﴿ وَالْأَقْدَامِ ٤١ ﴾ جمع قدم وهى قدم الرجل المعروفة والباء للالة مثلما فى أخذت بخظام الدابة ، والجار والمجرور نائب الفاعل ،

وقال أبو حيان: إن الباء للتعدية والفعل مضمن معنى ما يعدي بها أي فيسحب بالنواصي الخ، رفيه بحث. وظاهر كلام غير واحد أن -أل- عوض عن المضاف إليه الضمير أي بنواصيرهم وأقدامهم، ونص عليه أبو حيان فقال: -أل- فيهما عوض عن الضمير على مذهب الكوفيين، والضمير محذوف على مذهب البصريين أي بالنواصي والأقدام منهم، وأنت تعلم أن الخلاف بين أهل البلدين فيما إذا احتيج إلى الضمير الربط ولا احتياج إليه هنا، نعم المعنى على الضمير وكيفية هذا الأخذ على ما روى عن الضحاك أن يجمع الملك بين ناصية أحدهم وقدميه في سلسلة من وراظه ثم يكسر ظهره ويلقيه في النار، وقيل: تأخذ الملائكة عليهم السلام بعضهم سحبا بالناصية وبعضهم سحبا بالقدم، وقيل: تسحبهم الملائكة عليهم السلام تارة بأخذ النواصي وتارة بأخذ الأقدام، فالواو بمعنى أو التي للتقسيم وهو خلاف الظاهر، وإبهام الفاعل لأنه كالمعتين، وقيل: للرمز إلى عظمتها فقد أخرج ابن مردويه والضياء المقدسي في صفة النار عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا بالنواصي والأقدام» (فَبَآئِءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) يقال فيه نحو ما تقدم، وقوله تعالى:

(هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) مقول قول مقدر معطوف على قوله تعالى: (يُؤْخَذُ) الخ أي ويقال هذه الخ. أو مستأنف في جواب ماذا يقال لهم لأنه مظنة للتوبيخ والتقريع، أو حال من أصحاب النواصي بناءً على أن التقدير نواصيرهم أو النواصي منهم، وما في البين اعتراض على الأول والآخر وكان أصل (التي يكذب بها المجرمون) التي كذبت بها فعذل عنه لما ذكر للدلالة على استمرار ذلك وبيان لوجه توبيخهم وعلته *

(يَطُوفُونَ فِيهَا) أي يترددون بين نارها (وَبَيْنَ حَمِيمٍ) ماء حار (وَأَن ۙ ۙ) متناه إناء وطبخه بالغ في الحرارة أقصاها، قال قتادة: الحميم يغلي منذ خاق الله تعالى جهنم والمجرم ويعاقب بين تصلية النار وشرب الحميم، وقيل: يحرقون في النار ويصب على رؤوسهم الحميم، وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم، وقيل: يغمسون في واد في جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فتتخام أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقا جديداً، وعن الحسن أنه قال: (حميم آن) النحاس انتهى حره، وقيل: (آن) حاضر.

وقرأ السلي يطافون، والاعمش. وظلحة. وابن مقسم (يطوفون) بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو

مشددة، وقرئ (يطوفون) أي يتطوفون (فَبَآئِءَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۙ ۙ) هو أيضا كما تقدم

(وَلَمَن ۙ ۙ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۙ ۙ) الخ شروع في تعديد الآلاء التي تفاض في الآخرة، و(مقام) مصدر ميمي بمعنى القيام مضاف إلى الفاعل أي (ولمن خاف) قيام ربه وكونه مهيمنا عليه مراقباً له حافظاً لأحواله، فالقيام هنا مثله في قوله تعالى: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وهذا مروي عن مجاهد: وقتادة، أو هو اسم مكان، والمراد به مكان وقوف الخلق في يوم القيامة للحساب، والاضافة إليه تعالى لامية اختصاصية لأن الملك له عز وجل وحده فيه بحسب نفس الأمر، والظاهر والخلق قائمون له كما قال سبحانه: (يقوم الناس لرب العالمين) منتظرون ما يحل عليهم من قبله جل شأنه، وزعم بعضهم أن الاضافة على هذا الوجه لادنى ملابسة وليس بشيء، وقيل: المعنى (ولمن خاف) مقامه عند ربه على أن المقام مصدر أو اسم مكان وهو للخائف نفسه، وإضافته

للرب لانه عنده تعالى فهي مثلها في قولهم : شاة رقود الحلب ، وهي بمعنى - عند - عند الكوفيين أى رقود عند الحلب ، وبمعنى اللام عند الجمهور كما صرح به شراح التسهيل وليست لأدنى ملابسة كما زعم أيضا ، ثم إن المراد بالعندية هنا مما لا يخفى ، وجوز أن يكون مقحما على سبيل الكناية ، فالمراد ولمن خاف ربه لكن بطريق برهاني بليغ ، ومثله قول الشماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه (مقام الذنب) كالرجل اللعين (١)

وهو الاظهر على ما ذكره صاحب الكشف ، والظاهر أن المراد ولكل فرد فرد من الخائفين :

(جنتان ٤٦) فقيل : إحداهما منزله ومحل زيارة أحبائه له ، والآخرى منزل أزواجه وخدمته ، واليه ذهب الجبائي ، وقيل : بستانان بستان داخل قصره وبستان خارجه ، وقيل : منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته ، وأين هذا ممن يطوف بين النار ، وبين حميم آن ؟؟

وجوز أن يقال : جنة لعقيدته وجنة لعمله ، أو جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي ، أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه ، أو إحداهما روحانية والأخرى جسمانية ، ولا يخفى أن الصفات الآتية ظاهرة في الجسمانية . وقال مقاتل : جنة عدن وجنة نعيم ، وقيل : المراد لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجنى ، فإن الخطاب للفريقين ، وهذا عندي خلاف الظاهر ، وفي الآثار ما يبعده ، فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن أنه كان شابا على عهد رضى الله تعالى عنه ملازم للسجدة والعبادة فعشقه جارية فأتته في خلوة فكلمته فحدثته نفسه بذلك فشوق شهقة فغشى عليه فجاء عم له فحمله إلى بيته فلما أفاق قال : يا عم انطلق إلى عمر فاقربه منى السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فانطلق فأخبر عمر وقد شوق الفتى شهقة أخرى فمات فوقه عليه عمر رضى الله تعالى عنه فقال : لك جنتان لك جنتان .

والخوف في الأصل توقع مكروه عند أمارة مظنونة أو معلومة ويضاده الأمن قال الراغب : والخوف من الله تعالى لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات ، ولذلك قيل : لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركا ، ويؤيد هذا تفسير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الخائف هنا كما أخرج ابن جرير عنه بمن ركب طاعة الله تعالى وترك معصيته *

وقول مجاهد : هو الرجل يريد الذنب فيذكر الله تعالى فيدع الذنب ، والذي يظهر أن ذلك تفسير باللازم ، وقد يقال : إن ارتكاب الذنب قد يجامع الخوف من الله تعالى وذلك كما إذا غلبته نفسه ففعله خائفاً من عقابه تعالى عليه ، وأيد ذلك بما أخرجه أحمد . والنسائي . والطبراني . والحكيم الترمذى في نواذر الاصول . وابن أبي شيبة . وجماعة عن أبي الدرداء « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : الثانية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال الثالثة : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : نعم وإن رغم أنف أبي الدرداء » وأخرج الطبراني . وابن مردويه من طريق الجريري عن أخيه قال : سمعت محمد بن سعد يقرأ - ولمن خاف مقام ربه جنتان وإن زنى وإن سرق - فقلت : ليس فيه وإن زنى وإن سرق

(١) ضمير (٤) ر (عنه) راجع إلى المأمور في البيت قبله . وماء قد وردت لوصول أروى . عليه الطير كالورق للجبين .

وهو من قصيدة للشماخ مدح بها عرابة بن أوس الخزرجي . والشاهد في قوله : (مقام الذنب) .

فقال : سمعت أبا الدرداء رضى الله تعالى عنه يقرأها كذلك فأنا أقرأها كذلك حتى أموت، وصرح بعضهم أن المراد بالخوف في الآية أشده فتأمل . وجاء في شأن هاتين الجنتين من حديث عياض بن غنم مرفوعاً « إن عرض كل واحدة منهما مسيرة مائة عام » والآية على ما روى عن ابن الزبير . وابن شاذان نزلت في أبي بكر * وأخرج ابن أبي حاتم . وأبو الشيخ في العظمة عن عطاء أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ذكر ذات يوم وفكر في القيامة . والموازين . والجنة . والنار . وصفوف الملائكة . وطى السموات . ونسف الجبال وتكوير الشمس . وانتثار الكواكب فقال : وددت أنى كنت خضراً من هذه الخضر تأتي على بهيمة فتأكلنى وأنى لم أخلق فنزلت (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٧ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ٤٨ ﴾ صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيهها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ ، وجوز أن يكون خبر مبتدأ مقدر أى هما ذواتا ، وأياً ما كان فهو تثنية - ذات - بمعنى صاحبة فانه إذا تثنى فيه لغتان ذاتا على لفظه وهو الأقيس كما يثنى مذكره ذوا ، والاخرى (ذواتا) برده إلى أصله فان التثنية ترد الأشياء إلى أصولها ، وقد قالوا : أصل ذات ذوات لكن حذف الواو تخفيفاً ، وفرقا بين الواحد والجمع ودلت التثنية ورجوع الواو فيها على أصل الواحد وليس هو تثنية الجمع كما يتوهم تفصيله في باب التثنية من شرح التسهيل ، والأفنان إما جمع فن بمعنى النوع ولذا استعمل في العرف بمعنى العلم أى ذواتا أنواع من الاشجار والثمار ، وروى ذلك عن ابن عباس . وابن جبير . والضحاك ، وعليه قول الشاعر :

ومن كل (أفنان) اللذاذة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضر

وإما جمع فن وهو مادق ولان من الأغصان كما قال ابن الجوزى ، وقد يفسر بالغصن ، وحمل على التسامح وتخصيصها بالذكر مع أنها ذواتا قصب وأوراق وثمار أيضا لانها هى التى تورق وتثمر . فنها تمتد الظلال . ومنها تجنى الثمار ففي الوصف تذكير لهما فيكأنه قيل : (ذواتا) ثمار وظلال لكن على سبيل السكينة وهى أخضر وأبلغ ، وتفسيره بالأغصان على أنه جمع فن مروي عن ابن عباس أيضا ، وأخرجه ابن جرير عن مجاهد قال أبو حيان : وهو أولى لأن أفعالا فى فعل أكثر منه فى فعل بسكون العين كفن ، ويجمع هو على فنون .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ٥٠ ﴾ صفة أخرى لجنتان أو خبر ثان للمبتدأ المقدر أى فى كل منهما عين تجري بالماء الزلال تسمى إحدى العينين بالتسليم ، والاخرى بالسلسيل ، وروى هذا عن الحسن ، وقال عطية العوفى : (عينان) إحداهما من ماء غير آسن ، والاخرى من خمر لذة للشاربين ، وقيل : (عينان) من الماء (تجريان) حيث شاء صاحبهما من الاعالى والاسافل من جبل من مسك ، وعن ابن عباس (عينان) مثل الدنيا أضعافا مضاعفة (تجريان) بالزيادة والكرامة على أهل الجنة * .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥١ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ٥٢ ﴾ صفة أخرى لجنتان أو خبر ثان للمبتدأ المقدر أى فى الدنيا ، أو رطب ويابس ولا يقصر يابس عن رطبه فى الفضل والطيب ، وأخرج عبد بن حميد . وابن المنذر . وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : قال ابن عباس فى هذه الآية : ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل ، ونقل هذا فى البحر عن ابن عباس أيضاً بزيادة إلا أنه حلو ، والجملة كالجملة التى قبلها * .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٣ مَتَّكِثِينَ ﴾ حال من قوله تعالى : -ولمن خاف- وجمع رعاية للمعنى بعد الافراد

رعاية للفظ ، وقيل : العامل محذوف أى يتمتعون متكئين ، وقيل : مفعول به بتقدير أئنى ، والاتكاه من صفات المتعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب ، والمعنى متكئين فى منازلهم ﴿ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ أَسْتَبْرَقٍ ﴾ من ديباج ثخين قال ابن مسعود - كما رواه عنه جمع . وصححه الحاكم - أخبرتم بالبطائن فكيف بالظواهر ، وقيل : ظواهرها من سندس ، وعن ابن جبير من نور جامد ، وفى حديث من نور يتلأأ وهو إن صح وقف عنده * وأخرج ابن جرير . وغيره عن ابن عباس أنه قيل له : (بطائنهما من استبرق) فإذا الظواهر ؟ قال : ذلك مما قال الله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وقال الحسن : البطائن هى الظواهر وروى عن قتادة ، وقال الفراء : قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كلا منهما يكون وجهاً والعرب تقول : هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء ، والحق أن البطائن هنا مقابل الظواهر على الوجه المعروف ، وقرأ أبو حيو (فرش) بسكون الراء ، وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك قال : قرأ عبد الله على (سرر . وفرش بطائنهما من استبرق) ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾ أى ما يجنى ويؤخذ من أشجارهما من الثمار ، فجنى اسم أوصفة مشبهة بمعنى المجنى ﴿ دَان ٥٤ ﴾ قريب يناله القائم . والقاعد . والمضطجع ، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : تدنو الشجرة حتى يجتنها ولى الله تعالى إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعا ، وعن مجاهد ثمار الجنتين دانية إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت يازاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك ، وقرأ عيسى (وجنى) بفتح الجيم وكسر النون كأنه أمال النون وإن كانت الألف قد حذفت فى اللفظ كما أمال أبو عمرو (حتى نرى الله جهرة) وقرئ (وجنى) بكسر الجيم وهو لغة فيه .

﴿ فَبَآئٍ آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان ٥٥ فَيَهَنَّ ﴾ أى الجنان المدلول عليهما بقوله تعالى : (ولئن خاف مقام رب جنتان) فانه يلزم من أنه لكل خائف جنتان تعدد الجنان ، وكذا على تقدير أن يكون المراد لكل خائفين من الثقلين جنتان لاسيما وقد تقدم اعتبار الجمعية فى قوله تعالى : (متكئين) وقال الفراء : الضمير لجنتان ، والعرب توقع ضمير الجمع على المثني ولا حاجة اليه بعدما سمعت ، وقيل : الضمير للبيوت والقصور المفهومة من الجنتين أو للجنتين باعتبار ما فهمنا ماذكر ، وقيل : يعود على الفرش ، قال أبو حيان : وهذا قول حسن قريب المأخذ ، وتعقب بأن المناسب للفرش - على - ، وأجيب بأنه شبه تمكهن على الفرش بتمكن المظروف فى الظرف وإثاره للاشعار بأن أكثر حاله الاستقرار عليها ، ويجوز أن يقال : الظرفية للإشارة إلى أن الفرش إذا جلس عليها ينزل مكان الجالس منها ويرتفع ما أحاط به حتى يكاد يغيب فيها كما يشاهد فى فرش الملوك المترفين التى حشوها ريش النعام ونحوه ، وقيل : الضمير للآلاء المعدودة من - الجنتين . والعينين . والفاكهة والفرش . والجنى والمراد بمعن ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ أى نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ، أو يقصرن طرف الناظر اليهن عن التجاوز إلى غيرهن ، قال ابن رشيق فى قول امرئ القيس :

من (القاصرات الطرف) لو (دب محول من الذر فوق الانف منها لأثرا)

أراد بالقاصرات الطرف أنها منكسرة الجفن خافضة النظر غير متطلعة لما بعد ولا ناظرة لغير زوجها ، ويجوز أن يكون معناه أن طرف الناظر لا يتجاوزها كقول المتنبي :

وخصر ثبت الابصار فيه كأن عليه من حرق نطقاً

انتهى فلا تغفل، والا كثرون على أول المعنيين الذين ذكرناهما بل في بعض الأخبار ما يدل على أنه تفسير نبوي •
أخرج ابن مردويه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال في ذلك
« لا ينظرن إلا إلى أزواجهن » ومتى صح هذا ينبغي قصر الطرف عليه ، وفي بعض الآثار تقول الواحدة
منهن لزوجها : وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي ، و(الطرف)
في الأصل مصدر فلذلك وحده ﴿ لَمْ يَطْمَئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ٥٦ ﴾ قال ابن عباس : لم يفتضهن قبل أزواجهن
إنس ولا جان ، وفيه إشارة إلى أن ضمير قبلهن للزواج ، ويدل عليه (قاصرات الطرف) وفي البحر هو عائد
على من عاد عليه الضمير في (متكئين) ، وأصل الطمئ خروج الدم ولذلك يقال للحيض طمئ ، ثم أطلق على
جماع الإبكار لما فيه من خروج الدم ، وقيل : ثم عمم لكل جماع ، وهو المروى هنا عن عكرمة ، وإلى الأول
ذهب الكثير ، وقيل : إن التعبير به للإشارة إلى أنهم يوجدن أبكاراً كلما جومعن ، ونفي طمئن عن الانس
ظاهر ، وأما عن الجن فقال مجاهد . والحسن : قد تجامع الجن نساء البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوج اسم الله
تعالى فنفي هنا جميع المجامعين وقيل : لا حاجة إلى ذلك إذ يكفي في نفي الطمئ عن الجن إمكانه منهم ، ولا شك
في إمكان جماع الجنى إنسية بدون أن يكون مع زوجها الغير الذي ذكر اسم الله تعالى ، ويدل على ذلك ما رواه
أبو عثمان سعيد بن داود الزيدى قال : كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن وقالوا :
إن ههنا رجلاً من الجن يزعم أنه يريد الحلال فقال ما أرى بذلك بأساً في الدين ولكن أكره إذا وجدت امرأة
حامل قيل : من زوجك ؟ قالت : من الجن فيكثر الفساد في الاسلام ، ثم إن دعوى أن الجن تجامع نساء البشر
جماعاً حقيقياً مع أزواجهن إذا لم يذكروا اسم الله تعالى غير مسلمة عند جميع العلماء ، وقوله تعالى : (وشاركهم في
الأموال والأولاد) غير نص في المراد بالانجنى ، وقال ضمرة بن حبيب : الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف
من الجن نوعهم ، فالعنى لم يطمئ الانسيات أحد من الانس ، ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن ،
وقد أخرج نحو هذا عنه ابن أبي حاتم ، وظاهره أن ما للجن لسن من الحور •

ونقل الطبرسي عنه أنهم من الحور وكذا الانسيات ، ولا مانع من أن يخلق الله تعالى في الجنة حوراً للانس
يشاء كلنهم يقال لهم لذلك انسيات ، وحوراً للجن يشاء كلنهم يقال لهم لذلك جنيات ، ويجوز أن تكون الحور كلهن نوعاً
واحداً ويعطى الجنى منهم لكنه في تلك النشأة غير في هذه النشأة ، ويقال : ما يعطاه الانسى منهم لم يطمئها إنسى قبله ،
وما يعطاه الجنى لم يطمئها جنى قبله وهذا فسر البلخي الآية ، وقال الشعبي . والكلي : تلك القاصرات الطرف
من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئت النشأة الآخرة خلق قبل ، والذي يعطاه الانسى زوجته المؤمنة التي كانت له
في الدنيا ويعطى غيرها من نساها المؤمنات أيضاً . وكذا الجنى يعطى زوجته المؤمنة التي كانت له في الدنيا من الجن
ويعطى غيرها من نساء الجن المؤمنات أيضاً ، ويبعد أن يعطى الجنى من نساء الدنيا الإنسانية في الآخرة •
والذي يغلب على الظن أن الانسى يعطى من الانسيات والحور والجنى يعطى من الجنيات والحور ولا يعطى إنسى
جنية ، ولا جنى إنسية وما يعطاه المؤمن إنسياً كان أو جنياً من الحور شئ يليق به وتشبهه نفسه ، وحقيقة تلك
النشأة وراء ما يخطر بالبال ، واستدل بالآية على أن الجن يدخلون الجن ويجامعون فيها كالانس فهم باقون فيها
منعمين ببقاء المعذنين منهم في النار ، وهو مقتضى ظاهر ما ذهب إليه أبو يوسف . ومحمد . وابن أبي ليلى .

والاوزاعي . وعليه الأكثر - كما ذكره العيني في شرح البخاري - من أنهم يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية ، ويدخلون الجنة فإن ظاهره أنهم كالانس يوم القيامة ، وعن الامام أبي حنيفة ثلاث روايات الاولى أنهم لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا كسائر الحيوانات ، الثانية أنهم من أهل الجنة ولا ثواب لهم أى زائد على دخولها ، الثالثة التوقف قال الكردي : وهو في أكثر الروايات ، وفي فتاوى أبي إسحق بن الصفار أن الامام يقول : لا يكونون في الجنة ولا في النار ولكن في معلوم الله تعالى .

ونقل عن مالك وطائفة أنهم يكونون في ربض الجنة ، وقيل : هم أصحاب الاعراف ، وعن الضحاك أنهم يلهمون التسبيح والذكر فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة وعلى القول بدخولهم الجنة قيل : نراهم ولا يرونا عكس ما كانوا عليه في الدنيا ، واليه ذهب الحارث المحاسبي ، وفي الواقيت الخواص منهم يرونا كما أن الخواص منا يرونهم في الدنيا ، وعلى القول بأنهم يتنعمون في الجنة قيل : إن تنعمهم بغير رؤيته عز وجل فانهم لا يرونه ، وكذا الملائكة عليهم السلام ما عدا جبريل عليه السلام فانه يراه سبحانه مرة ولا يرى بعدها على ما حكاه أبو إسحق إبراهيم بن الصفار في فتاويه عن أبيه ، والاصح ما عليه الأكثر مما قدمناه وأنهم لا فرق بينهم وبين البشر في الرؤية وتماه في محله ، وقرأ طلحة . وعيسى . وأصحاب عبد الله (يطمئن) بضم الميم هنا وفيما بعد ، وقرأ أناس بضمه في الاول وكسره في الثاني . وناس بالعكس . وناس بالتخيير ، والجحدري بفتح الميم فيهما ، والجملة صفة - لقاصرات الطرف - لأن إضافتها لفظية أو حال منها لتخصيصها بالإضافة

(فَبَإِيءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧) وقوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ٥٨) إما صفة لقاصرات الطرف ، أو حال منها كالتي قبل أى مشبهات بالياقوت والمرجان ، وقول النحاس : إن الكاف في موضع رفع على الابتداء ليس بشئ كما لا يخفى ، أخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة أنه قال في الآية في صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ ، وعن الحسن نحوه ، وفي البحر عن قتادة في صفاء الياقوت . وحرمة المرجان فحمل المرجان على ما هو المعروف ، وقيل : مشبهات بالياقوت في حرمة الوجه وبالمرجان أى صغار الدر في بياض البشرة وصفائها وتخصيص الصغار على ما في الكشف لأنه أنصع بياضاً من الكبار ، وقيل : يحسن هنا إرادة الكبار كما قيل في معناه لانه أوفق بقوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) فلا تغفل .

وأخرج أحمد . وابن حبان . والحاكم وصححه . والبيهقي في البعث والنشور عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ) الخ قال : ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضئ ما بين المشرق والمغرب وأنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يوضح سوقها من وراء ذلك .

وأخرج عبد بن حميد . والطبراني . والبيهقي في البعث عن ابن مسعود قال : إن المرأة من الحور العين يرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم من تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء .

(فَبَإِيءَ الْآءِ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩) وقوله تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ٦٠) استئناف مقرر لمضمون ما قبله أى ما جزاء الاحسان في العمل إلا الاحسان في الثواب ، وقيل : المراد ما جزاء التوحيد إلا الجنة وأيد بظواهر كثير من الآثار ، أخرج الحسكيم الترمذي في نوادر الأصول . والبغوى في تفسيره . والديلمي في مسند الفروس . وابن النجار في تاريخه عن أنس قال : «قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) فقال: وهل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: يقول: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة؟ وأخرج ابن النجار في تاريخه عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً بلفظ «قال الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه» الخ ووراء ذلك أقوال تقرب من مائة قول، واختير العموم ويدخل التوحيد دخولا أولاً، والصوفية أوردوا الآية في باب الاحسان وفسروه بما في الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك» قالوا: فهو اسم يجمع أبواب الحقائق، وقرأ ابن أبي إسحق إلا الحسن يعني بالحسان قاصرات الطرف اللاتي تقدم ذكرهن ﴿فَبَإِىءَآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١﴾ وقوله تعالى:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢﴾ مبتدأ وخبر أى ومن دون تينك الجنتين في المنزلة والقدر جنتان أخريان، قال ابن زيد والا كثرون الأوليان للسابقين وهاتان لاصحاب اليمين، وقد أخرج ابن جرير. وابن أبي حاتم. وابن مردويه عن أبي موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله سبحانه: (ومن دونهما جنتان) قال: جنتان من ذهب للبكرين وجنتان من ورق لاصحاب اليمين، وقال الحسن: الأوليان للسابقين والاخريان للتابعين، وروى موقوفاً وصححه الحاكم عن أبي موسى، وزعم بعضهم أن الأوليين للخائفين والاخريين لذرياتهم الذين ألحقوا بهم ولم أجده مستنداً من الآثار، وحكى في البحر عن ابن عباس أنه قال: (ومن دونهما) في القرب للنعيمين والمؤخرتا الذكراً أفضل من الأوليين، وادعى أن الصفات الآتية أمدح من الصفات السابقة ووافقه من وافقه، وسيأتى تمام الكلام في ذلك إن شاء الله تعالى *

﴿فَبَإِىءَآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣﴾ وقوله تعالى: ﴿مُدْهَامَتَانِ ٦٤﴾ صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما تقدم من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ أو خبر مبتدأ محذوف أى همامدهامتان من الدهمة وهى فى الاصل على ما قال الراغب سواد الليل ويعبر بها عن سواد الفرس وقد يعبر بها عن الخضرة الكاملة اللون كما يعبر عنها بالخضرة إذا لم تكن كاملة وذلك لتقاربهما فى اللون، ويقال: ادهام ادهيما فهو مدهام على وزن مفعال إذا اسود أو اشتدت خضرته، وفسرها هنا ابن عباس. ومجاهد. وابن جبير. وعكرمة. وعطاء بن أبى رباح. وجماعة بخضراوان، بل أخرج الطبرانى. وابن مردويه عن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه قال: «سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله تعالى: (مدهامتان) فقال عليه الصلاة والسلام: خضراوان» والمراد أنهما شديدا الخضرة والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد وذلك من الرى من الماء كما روى عن ابن عباس. وابن الزبير. وأبى صالح قيل: إن فى وصف هاتين الجنتين بما ذكر إشعاراً بأن الغالب عليهما النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض كما أن فى وصف السابقتين بذوات أفنان إشعاراً بأن الغالب عليهما الاشجار فان الاشجار توصف بأنها ذوات أفنان والنبات يوصف بالخضرة الشديدة فالاعتصار فى كل منهما على أحد الأمرين مشعر بما ذكر وبني على هذا كون هاتين الجنتين دون الأوليين فى المنزلة والقدر كيف لا والجنة الكثيرة الظلال والثمار أعلى وأعلى من الجنة القليلة الظلال والثمار، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين الجنتين مع اختصاص الوصف بالخضرة بالنبات وكذا كونه أغلب من وصف الاشجار به فكثيراً ما تسمع الناس يقولون إذا مدحوا بستاناً أشجاره خضر يانعة وهو أظهر فى مدحه بأنه ذو ثمار من ذى أفنان، وهو يشعر أيضاً بكثرة مائه والاعتناء بشأنه وبعده عن التصوح والهلاك *

﴿فَبَإِىءَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ٦٦﴾ فوارتان بالماء على ماهو الظاهر ، وفى البحر النضخ فوران الماء ، وفى الكشف . وغيره النضخ أكثر من النضج بالحاء المهمة لانه مثل الرش وهو عند من فضل الجنة الأولين دون الجرى ، فالمدح به دون المدح به ، وعليه قول البراء بن عازب فيما أخرج ابن المنذر . وابن أبى حاتم العينان اللتان تجريان خير من النضاحتين ، ومن ذهب إلى تفضيل هاتين يقول فى الفوران جرى مع زيادة حسن فان الماء إذا فار وارفع وقع متناثر القطرات كحبات اللؤلؤ المتناثرة كما يشاهد فى الفوارات المعروفة ، أو يقول بما أخرجه ابن أبى شيبة . وابن أبى حاتم عن أنس (نضاختان) بالمسك والعنبر تنضخان على دور الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، أو بما أخرجه ابن أبى شيبة . وعبد بن حميد عن مجاهد (نضاختان) بالخير ، ولفظ ابن أبى شيبة بكل خير .

﴿فَبَإِىءَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ٦٧ فِيهِمَا فَكَّهُةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ٦٨﴾ عطف الأخيرين على الفاكهة عطف جبريل وميكال عليهما السلام على الملائكة بياناً لفضلهما ، وقيل : إنها فى الدنيا لما لم يخلصا للتفكه فان النخل ثمره فاكهة وطعام ، والرمان فاكهة ودواء عدا جنساً آخر عطفاً على الفاكهة وإن كان كل ما فى الجنة للتفكه لأنه تلذذ خالص ، ومنه قال الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه : إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث ، وخالفه أصحابه ثم إن نخل الجنة ورمانها وراء ما نعرفه .

أخرج ابن المبارك . وابن أبى شيبة . وهناد . وابن أبى الدنيا . وابن المنذر . والحاكم وصححه . وآخرون عن ابن عباس نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرانيفها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم وحكمه حكم المرفوع . وفى حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً أصوله فضة وجذوعه فضة وسعفه حلل وحمله الرطب النخ . وأخرج ابن أبى حاتم . وابن عساكر عن أبى سعيد مرفوعاً قال عليه الصلاة والسلام : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كمثل البعير المقتب » وهذا المدح بحسب الظاهر دون المدح فى قوله تعالى فى الجنة السابقتين : (فيهما من كل فاكهة زوجان) ومن ذهب إلى تفضيلهما يقول إن التنوين فى فاكهة للتعميم بقرينة المقام نظير ما قيل فى قوله تعالى : (علمت نفس ما أحضرت) فيكون فى قوة فيها كل (فاكهة) ويزيد ما فى النظم الجليل على ما ذكر بتضمنه الإشارة إلى مدح بعض أنواعها ، وقال الامام الرازى : إن (ما) هنا كقوله تعالى : (فيهما من كل فاكهة زوجان) وذلك لأن الفاكهة أنواع أرضية وشجرية كالبطيخ وغيره من الارضيات المزروعات والنخل وغيرها من الشجريات فقال تعالى : (مدهامتان) لأنواع الخضر التى فيها الفواكه الارضية ، وفيها أيضاً الفواكه الشجرية وذكر سبحانه منها نوعين الرطب والرمان لانها متقابلان أحدهما حلوا والآخرفيه حامض ، وأحدهما حار والآخربارد ، وأحدهما فاكهة وغذاء والآخرفاكهة ، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة والآخرفواكه البلاد الباردة ، وأحدهما أشجاره تكون فى غاية الطول والآخرفليس كذلك ، وأحدهما ما يؤكل منه بارز وما لا يؤكل كامن والآخرفالعكس فهما كالضدين ، والإشارة إلى الطرفين تتناول الإشارة إلى ما بينهما كما فى قوله تعالى : (رب المشرقين ورب المغربين) انتهى ، ولعل الأول أولى ﴿فَبَإِىءَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ٦٩﴾ وقوله تعالى : ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾ صفة أخرى لجناتان ، أو خبر بعد خبر للببتدأ المحذوف كالجمله التى قبلها ،

ويجوز أن تكون مستأنفة والكلام في ضمير الجمع هنا كالكلام فيه في قوله تعالى: (فيهن قاصرات الطرف) و(خيرات) قال أبو حيان: جمع خيرة وصف بنى على فعلة من الخير كما بنوا من الشر فقالوا شره ، وقال الزمخشري: أصله (خيرات) بالتشديد يخفف كقوله عليه الصلاة والسلام: «هينون لينون» وليس جمع خير بمعنى أخير فإنه لا يقال فيه خيرون ولا خيرات ، ولعله لأن أصل اسم التفضيل أن لا يجمع خصوصاً إذا نكر ، وقرأ بكر بن حبيب. وأبو عثمان النهدي . وابن مقسم (خيرات) بتشديد الياء وهو يؤيد أن أصله كذلك ، وروى عن أبي عمرو (خيرات) بفتح الياء كأنه جمع خائرة جمع على فعلة ﴿حَسَنٌ ٧٠﴾ قيل: أى حسان الخساق والخلاق .

وأخرج عبد الرزاق . وعبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة أنه قال في الآية : (خيرات) (الأخلاق (حسان) الوجوه ، وأخرج ذلك ابن جرير . والطبراني . وابن مردويه عن أم سلمة مرفوعاً *

﴿فَبَإِىِّ مَا لَآءَ رَبُّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١﴾ وقوله تعالى : ﴿حُورٌ﴾ بدل من (خيرات) وهو جمع حوراء وكذا جمع أحور ، والمراد يبيض لما أخرجه ابن المنذر . وغيره عن ابن عباس وروته أم سلمة أيضاً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقال ابن الأثير: الحوراء هى الشديدة يياض العين الشديدة سوادها، وفى القاموس الحور بالتحريك أن يشتد يياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ماحو اليها أو شدة يياضها وسوادها فى يياض الجسد ، أو اسوداد العين كلها مثل الظباء ولا يكون فى بنى آدم بل يستعار لها، وإذا صح حديث أم سلمة لم يعدل فى القرآن عن تفسير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

﴿مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٧٢﴾ أى مخدرات يقال: امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة ملازمة لبيتها لا تطوف فى الطرق ، قال كشر عزة :

وأنت التى حببت كل قصيرة إلى ولم تشعر بذاك القصار

عنيت (قصيرات الحجال) ولم أرد قصار الخطا شر النساء البحائر

والنساء يمدحن بملازمتهم البيوت لدلالاتها على صيانتهم كما قال قيس بن الاسلت :

وتكسل عن جاراتها فيزرنها وتغفل عن آياتهن (فتعذر)

وهذا التفسير مأثور عن ابن عباس . والحسن . والضحاك وهو رواية عن مجاهد، وأخرج ابن أبى شبة . وهناد بن السرى . وابن جرير عنه أنه قال : (مقصورات) قلوبهن وأبصارهن ونفوسهن على أزواجهن ، والأول أظهر، و(فى الخيام) عليه متعلق بمقصورات ، وعلى الثانى يحتمل ذلك ، ويحتمل كونه صفة ثانية لحور فلا تغفل ، والخيام جمع خيمة - وهى على مافى البحر - بيت من خشب وثمام وسائر الحشيش، وإذا كان من شعر فهو بيت ولا يقال له خيمة . وقال غير واحد: هى كل بيت مستدير أو ثلاثة أعواد أو أربعة يلقى عليها الثمام ويستظل بها فى الحر أو كل بيت يبنى من عيدان الشجر وتجمع أيضاً على خيمات وخيم بفتح فسكون وخيم بالفتح وكعب - والخيام هنا بيوت من لؤلؤ - أخرج ابن أبى شبة وجماعة عن ابن عباس أنه قال: الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وأخرج جماعة عن أبى الدرداء أنه قال: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در ، وأخرج البخارى . ومسلم . والترمذى . وغيرهم عن أبى موسى الاشعرى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلاً فى كل زاوية منها للؤم من

أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن، إلى ذلك من الأخبار، وقوله سبحانه: (فيهن) الخ دون ما تقدم في الجنتين السابقتين أعنى قوله عز وجل: (فيهن قاصرات الطرف) إلى قوله تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان) في المدح عند من فضلها على الأخيرتين قيل لما في (مقصورات) على التفسير الثاني من الإشعار بالقصر في القصر، وأما على تفسيره الأول فكونه دونه ظاهراً وإن لم يلاحظ كونها مخدرة فيما تقدم، أو يجعل قوله تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان) كناية عنه لانهما مما يضاف كما قيل * جوهرة أحقاقها الخدور * ومن ذهب إلى تفضيل الأخيرتين يقول: هذا أمدح لعموم (خيرات حسان) الصفات الحسنة خلقتاً وخلقاً ويدخل في ذلك قصر الطرف وغيره بما يدل عليه التشبيه بالياقوت والمرجان، والمراد بالقصر على التفسير الثاني لمقصورات القاصر الطبيعي بقرينة المقام فيكون فيه إشارة إلى تعذر ترك القصر منهن، و (قاصرات الطرف) ربما يوهم أن القصر باختيارهن فتى شئن قصرن وهن لم يشأن لم يقصرن *

(فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكَ أَنْ تُكَذِّبَ ۚ ۷٣) وقوله تعالى: (لَمْ يَطْمِئُنْ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۚ ۷٤) الكلام فيه كالكلام في نظيره (فَبَأَىءَ الْآءِ رَبُّكَ أَنْ تُكَذِّبَ ۚ ۷٥) وقوله سبحانه: (مُتَكِّثِينَ) قيل: بتقدير يتنعمون متكثين أو أعنى متكثين، والضمير لاهل الجنتين المدلول عليهم بذكرهما (عَلَى رَفْرَفٍ) اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرقة، وعلى الوجهين يصح وصفه بقوله تعالى: (خُضِرَ) وجعله بعضهم جمعاً لهذا الوصف ولا يخفى أن أمر الوصفية لا يتوقف على ذلك الجعل، وفسره في الآية على كرم الله تعالى وجهه. وابن عباس. والضحاك بفضول المحابس وهي ما يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه، وقال الجوهري: الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس واشتقاقه من رف إذا ارتفع، وقال الحسن - فيما أخرجه ابن المنذر وغيره عنه - هي البسط *

وأخرج عن عاصم الجحدري أنها الوسائد، وروى ذلك عن الحسن أيضاً. وابن كيسان. وقال الجاثي: الفرش المرتفعة، وقيل: ما تدلى من الأسرة من غالي الثياب، وقال الراغب: ضرب من الثياب مشبهة بالرياض، وأخرج ابن جرير. وجماعة عن سعيد بن جبير أنه قال: الرفرف رياض الجنة، وأخرج عبد بن حميد نحوه عن ابن عباس وهو عليه - كما في البحر - من رف النبات نعم وحسن، ويقال الرفرف لسكر ثوب عريض وللريق من ثياب الديباج ولاطراف الفسطاط والخباء الواقعة على الأرض دون الاطناب والواتاد، وظاهر كلام بعضهم أنه

قيل بهذا المعنى هنا وفيه شيء (وَعَبَقَرَى) هو منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل عجيب غريب من الفرش وغيرها فعناه الشيء العجيب النادر، ومنه ما جاء في عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه فلم أرى عبقرياً يفري فريه، ولتناسى تلك النسبة قيل: إنه ليس بمنسوب بل هو مثل كرمي وبختي كما نقل عن قطرب، والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع وهو قوله تعالى: (حَسَّانَ ۚ ۷٦) حملاً على المعنى، وقيل: هو اسم جمع أو جمع واحده عبقرية، وفسره الأكثرون بعناق الزراني، وعن أبي عبيدة هو ما كله وشي من البسط * وروى غير واحد عن مجاهد أنه الديباج الغليظ، وعن الحسن أنها بسط فيها صور وقد سمعت ما نقل عنه في الرفرف فلا تغفل عما يقتضيه العطف.

وقرأ عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. ونصر بن عاصم الجحدري. ومالك بن دينار. وابن محيصن.

وزهير القرقي وغيرهم رفارف جمع لا ينصرف (حضر) يسكون الضاد ، وعباقرى بكسر القاف وفتح الياء مشددة ، وعنهم أيضا ضم الضاد ، وعنهم أيضا فتح القاف قاله صاحب اللوامح ، ثم قال أما منع الصرف من عباقرى . فلجأ ورته لرفارف يعنى للمشاطلة والإفلاوجه لمنع الصرف ، مع ياء النسب إلا في ضرورة الشعر انتهى .
وقال ابن خالويه : قرأ - على رفارف خضر وعباقرى - النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، والجحدري . وابن محيصن ، وقد روى عن ذكرنا - على رفارف خضر وعباقرى - بالصرف ، وكذلك روى عن مالك بن دينار ، وقرأ أبو محمد .
المروزي وكان نحويا - على رفارف خضر - بوزن فعال ، وقال صاحب الكامل : قرأ رفارف بالجمع ابن مصرف . وابن مقسم . وابن محيصن ، واختاره شبل . وأبو حيوة . والجحدري . والزعفراني وهو الاختيار لقوله تعالى :
(حضر) ، وعباقرى بالجمع وبكسر القاف من غير تنوين ابن مقسم . وابن محيصن ، وروى عنهما التنوين *
وقال ابن عطية : قرأ زهير القرقي (١) رفارف بالجمع وترك الصرف ، وأبو طعمة المدني . وعاصم فيأروى عنه رفارف بالصرف . وعثمان رضى الله تعالى عنه كذلك ، وعباقرى بالجمع والصرف ، وعنه وعباقرى بفتح القاف والياء على أن اسم الموضع عباقر بفتح القاف ، والصحيح فيه عبقر ، وقال الزخشرى : قرىء عباقرى كدائني *
وروى أبو حاتم عباقرى بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته ، وقال الزجاج : هذه القراءة لا تخرج لها لان ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب فلو جمعت عبقري قلت : عباقره نحو مهلب ومهالبة ولا تقول مهالبي *
وقال ابن جنى : أما ترك صرف عباقرى فشاذ في القياس ولا يستنكر شذوذه مع استعماله ، وقال ابن هشام : كونه من النسبة إلى الجمع كدائني باطل فان من قرأ بذلك قرأ رفارف خضر بقصد المجانسة ولو كان كما ذكر كان مفردا ولا يصح منع صرفه كدائني وقد صححت الرواية بمنعه الصرف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من باب كرسى وكراسى وهو من صيغة متتهى الجوع لكنها خالفت القياس في زيادة ما بعد الألف على المعروف كما ذكره السهيلي ، وقال صاحب الكشف : فتح القاف لا وجه له بوجه والمذكور في المنتقى عن النبي ﷺ الكسر *
وأما منع الصرف فليس بمتعين ليرد بل وجهه أنه نصب على محل رفرف على حد يذهب في نجد وغورا . وإضافته إلى (حسان) مثل إضافة حور إلى عين في قراءة عكرمة كأنه قيل : عباقرى مفارش ، أو تمارق حسان فهو من باب أخلاق ثياب لان أحد الوصفين قائم مقام الموصوف ، ولعل عبقر وعباقر مثل عرفة وعرفات انتهى ، فأحط بجوانب الكلام ولا تغفل ، وقرأ ابن هرمز (خضر) بضم الضاد وهى لغة قليلة ومن ذلك قول طرفة :

أيها القينات في مجلسنا جزدوا منها وراداً (وشقر)

وقول الآخر : وما انتميت إلى خود ولا (كشف) ولا لثام غداة الروع أو زاع

فشقر جمع أشقر ، وكشف جمع أشقر وهو من ينهزم في الحرب ، هذا الوصف بقوله تعالى . (متكئين على رفرف) الخ دون الوصف بقوله سبحانه : (متكئين على فرش بطائنها من استبرق) عند القائل بتفضيل الجنتين السابقتين لما في هذا الوصف من الإشارة إلى أن الظواهر مما يعجز عنها الوصف . ومن ذهب إلى تفضيل الأخيرتين يقول : الرفرف ما يطرح على ظهر الفراش وليست الفراش التي يطرح عليها الرفرف مذكورة فيجوز أن يكون ترك ذكرها للإشارة إلى عدم إحاطة الوصف بها ظاهراً وبطانة وهو أبلغ من الأول ، ولا يسلم أن تلك الفراش هى العبقري ، أو يقول الرفرف الفراش المرتفعة وترك التعرض لسوى لونها وهو الخضرة التي ميل الطباع

(١) هكذا بقاين وقد مر بالغاء بعد الراء القاف ، وفي البحر القرقي بالعين المهملة تدبر

اليها أشدوهى جامعة لأصول الألوان الثلاثة على ما بينه الإمام يشير إلى أنها لا تتكاد تحيط بحقيقة عبارات؛ وقد يقال غير ذلك فتأمل، وينبغي على القول بتفضيل الأخيرتين وكونهما لطائفة غير الطائفة المشار اليهم بمن خاف أن لا يفسر من خاف بمن له شدة الخوف بحيث يختص بأفضل المؤمنين وأجلهم، أو يقال إنهما مع الأولين لمن خاف مقام ربه ويكون المعنى (ولمن خاف مقام ربه) أيضاً (جنتان) صفتها كيت وكيت من دون تينك الجنتين، وعليه قيل: (جنتان) عطف على (جنتان) قبله (ومن دونهما) في موضع الحال، وذهب بعضهم إلى أن هاتين الجنتين سواء كانتا أفضل من الأولين أم لا لمن خاف مقام ربه عز وجل فله يوم القيامة أربع جنات. قال الطبرسي: والأخيرتان دون الأولين أى أقرب إلى قصره ومجالسه ليتضاءفله السرور بالتنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك وهو أبعد عن الملل الذى طبع عليه البشر، وأنت تعلم أن الآية تحتل ذلك احتمالاً ظاهراً لكن ما تقدم من حديث أبى موسى رضى الله تعالى عنه ياباه فاذا صح ولو موقوفاً - إذ حكم مثله حكم المرفوع - لم يكن لنا العدول عما يقتضيه، وقد روى عنه أيضاً حديث مرفوع ذكره الجلال السيوطى فى الدر المنثور يشعر بأن الجنان الأربع هى جنات الفردوس *

وأخرج عنه أحمد . والبخارى . ومسلم . والترمذى . والنسائى . وابن ماجه . وغيرهم أنه قال: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: « جنات الفردوس أربع . جنتان من ذهب حليتهما وآيتنهما وما فيهما . وجنتان من فضة حليتهما وآيتنهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » والظاهر على هذا أنه يشترك الألوف فى الجنة الواحدة من هذه الجنان ، ومعنى قوله تعالى : (ومن خاف) الخ عليه بما لا يخفى ، ثم إن قاصرات الطرف إن كن من الانس فهن أجل قدراً وأحسن منظراً من الحور الملقصورات فى الخيام بناماً على أنهن النساء المخلوقات فى الجنة .

فقد جاء من حديث أم سلمة « قلت يا رسول الله : أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة ، قلت : يا رسول الله وبهم ذاك ؟ قال : بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير يرض الوجوه خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقان ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً طوبى لمن كنا له وكان لنا » إلى غيره من الأخبار ويكون هذا مؤيداً للقول بتفضيل الجنتين الأوليين على الأخيرتين ولعله إنما قدم سبحانه ذكر الاتكاء أولاً على ذكر النساء لأنه عز وجل ذكر فى صدر الآية الخوف حيث قال سبحانه : (ومن خاف مقام ربه جنتان) فناسب التعجيل بذكر ما يشعر بزواله إشعاراً ظاهراً وهو الاتكاء فانه من شأن الآمنين ، وآخر سبحانه ذكره ثانياً عن ذكرهن لعدم ما يستدعى التقديم وكونه بما يكون للرجل عادة بعد فراغ ذهنه عما يحتاجه المنزل من طعام وشراب وقينة تكون فيه ، وإذا قلنا : إن الحور كالجوارى فى المنزل كان أمر التقديم والتأخير أوقع ، وقال الامام فى ذلك : إن أهل الجنة ليس عليهم تعب وحركة فهم متنعمون دائماً لكن الناس فى الدنيا على أقسام منهم من يجتمع مع أهله اجتماع مستوفى وعند قضاء وطره يغتسل ويتنشر فى الارض للكسب ، ومنهم من يكون متردداً فى طلب الكسب وعند تحصيله يرجع إلى أهله ويستريح عما لحقه من تعب قبل قضاء الوطر أو بعده فانه عز وجل قال فى أهل الجنة : (متكئون) قبل اجتماعهم بأهاليهم متكئون بعد الاجتماع ليعلم أنهم دائمون على السكون ، ولا يخفى أن هذا على ما فيه لا يحسم السؤال إذ لقائل

أن يقول لم يعكس أمر التقديم والتأخير في الموضوعين مع أنه يتضمن الإشارة إلى ذلك أيضاً، ثم ذكر في ذلك وجهاً ثانياً وهو على ما فيه مبنى على الماستند له فيه من الآثار فتدبر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٧﴾ وقوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في هذه السورة الكريمة من آلائه جل شأنه الفائضة على الأنام، - فتبارك - بمعنى تعالى لأنه يكون بمعناه وهو أنسب بالوصف الآتي، وقد ورد في الأحاديث «تعالى اسمه» أي تعالى اسمه الجليل الذي من جملة ما صدرت به السورة من اسم (الرحمن) المنبئ عن إفاضة الآلاء المفصلة، وارتفع مما يليق بشأنه من الأمور التي من جملةها جود نعمائه وتكذيبها، وإذا كان حال اسمه تعالى بملازمة دلالاته عليه سبحانه كذلك فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى ٤٩؟ * وقيل: الاسم بمعنى الصفة لأنها علامة على موصوفها، وقيل: هو مقحم كما في قول من قال: ثم اسم السلام عليكم، وقيل: هو بمعنى المسمى، وزعم بعضهم إن الأنسب بما قصد من هذه السورة الكريمة وهو تعدد الآلاء والنعم تفسير (تبارك) بكثرت خيراته ثم إنه لا بعد في إسناد هذا المعنى لاسمه تعالى إذ به يستمطر فيغاث ويستنصر فيعان، وقوله سبحانه: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٧٨﴾ صفة للرب ووصف جل وعلا بذلك تكميلاً لما ذكر من التنزيه والتقدير، وقرأ ابن عامر. وأهل الشام - ذو - بالرفع على أنه وصف للاسم ووصفه بالجلال والاكرام بمعنى التكريم واضح *

هذا (ومن باب الإشارة) في بعض الآيات (الرحمن علم القرآن) إشارة إلى ما أودعه سبحانه في الأرواح الطيبة القدسية من العلوم الحقائقية الاجمالية عند استوائه عز وجل على عرش الرحمانية (خلق الانسان) الكامل الجامع (علمه البيان) وهو تفصيل تلك العلوم الاجمالية (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) (الشمس والقمر بحسبان) يشير إلى شمس النبوة وقرى الولاية النابئين في فلك وجود الانسان بحساب التجليات ومراتب الاستعدادات، و(النجم) القوى السفلية (والشجر) الاستعدادات العلوية (يسجدان) يتذللان بين يديه تعالى عند الرجوع إليه سبحانه (والسما) سماء القوى الالهية القدسية (رفعها) فوق أرض البشرية (ووضع الميزان) القوة المميزة (أن لا تطفوا في الميزان) لا تتجاوزوا عند أخذ الحظوظ السفلية وإعطاء الحقوق العلوية * وجوز أن يكون (الميزان) الشريعة المطهرة فإنها ميزان يعرف به الكامل من الناقص (والأرض) أرض البشرية (وضعها) بسطها وفرشها (الانام) للقوى الانسانية (فيها فاكهة) من فواكه معرفة الصفات الفعلية (والنخل ذات الأكام) وهي الشجرة الانسانية التي هي المظهر الأعظم وذات أطوار كل طور مستور بطور آخر (والحب) هو حب الحب المبذور في مزارع القلوب السليمة من الدغل (ذو العصف) أوراق المكاشفات (والريحان) ريحان المشاهدة (رب المشرقين ورب المغربين) رب مشرق شمس النبوة ومشرق قرى الولاية في العالم الجسماني ورب مغربها في العالم الروحاني (مرج البحرين) بحر سماء القوى العلوية وبحر أرض القوى السفلية (يلتقيان بينهما برزخ) حاجز القلب (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أنواع أنوار الأسرار ونيران الأشواق (وله الجوار المنشآت) سفن الخواطر المسخرة في بحر الانسان (كل من عليها فان) ماشم رائحة الوجود (ويبقى وجه ربك) الجهة التي تليه سبحانه وهي شئوانه عز وجل (ذو الجلال) أي الاستغناء التام عن جميع المظاهر (والاكرام) الفيض العام يفيض على القوابل حسبما استعدت له وسألته بلسان حالها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (يسأله من في السموات

والارض) الخ ، واستدل الشيخ الاكبر محي الدين قدس سره بقوله سبحانه: (كل يوم هو في شأن) على شرف التلون ، وكذا استدل به على عدم بقاء الجوهر آئين ، وعلى هذا الطرز ما قيل في الآيات بعد ، وذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى: (فبأي آلاء ربكماتكذبان) قد ذكر إحدى وثلاثين مرة ، ثمانية منها عقيب تعداد عجائب خلقه تعالى . وذكر المبدأ والمعاد ، وسبعة عقيب ذكر ما يشعر بالنار وأهوالها على عدد أبواب جهنم ، وثمانية في وصف الجنة الأولى ومثلها في وصف الجنة الثانية اللتين دونهما على عدد أبواب الجنة فكأنه أشير بذلك إلى أن من اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الجنة من الله تعالى ووقاه جهنم ذات الأبواب السبعة ، والله تعالى أعلم بإشارات كتابه وحقائق خطابه ودقائق كلامه التي لا تحيط بها الأفهام وتبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام *

﴿ سورة الواقعة ﴾

﴿ مكية ﴾ كما أخرجه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عباس : وابن مردويه عن ابن الزبير ، واستثنى بعضهم قوله تعالى: (ثمة من الأولين وثمة من الآخرين) كما حكاه في الاتقان وكذا استثنى قوله سبحانه: (فلا أقسم بمواقع النجوم) إلى (تكذبون) لما أخرجه مسلم في سبب نزوله وسيأتي إن شا الله تعالى ، وفي مجمع البيان حكاية استثناء قوله تعالى: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) عن ابن عباس . وقادة وعدداً تسع وتسعون في المجازي والشامى ، وسبع وتسعون في البصرى ، وست وتسعون في الكوفي ، وتفصيل ذلك فيما أعدد لمثله ، وهي سورة الرحمن متواخية في أن في كل منهما وصف القيامة والجنة والنار ، وقال في البحر : مناسبتها لما قبلها أنه تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين ، وفاضل سبحانه بين جنتي بعض المؤمنين وحتي بعض آخر منهم فانقسم المكلفون بذلك إلى كافر ومؤمن فاضل ومؤمن مفضول ، وعلى هذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة وأصحاب مشامة وسابقين ، وقال بعض الأجلة انظر إلى اتصال قوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة) بقوله سبحانه: (فاذا انشقت السماء) وأنه اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء ، وفي الواقعة على ذكر رج الأرض فكان السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة فذكر في كل شيء ، وقد عكس الترتيب فذكر في أول هذه مافي آخر تلك وفي آخر هذه مافي أول تلك فاقتح في سورة الرحمن بذكر القرآن ، ثم ذكر الشمس والقمر ، ثم ذكر النبات ، ثم خلق الإنسان والجان ، ثم صفة يوم القيامة ، ثم صفة النار ، ثم صفة الجنة ، وهذه ابتدائها بذكر القيامة ، ثم صفة الجنة ، ثم صفة النار ؛ ثم خلق الإنسان ، ثم النبات ، ثم الماء ، ثم النار ، ثم ذكرت النجوم ولم تذكر في الرحمن كما لم يذكر هنا الشمس والقمر ، ثم ذكر الميزان فكانت هذه كالمقابلة لتلك وكالمتضمنة لرد المعجز على الصدر ، وجاء في فضلها آثار *

أخرج أبو عبيد في فضائله . وابن الضريس . والحرث بن أبي سامة . وأبو يعلى . وابن مردويه . والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال : « سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » . وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس نحوه مرفوعاً ، وأخرج ابن مردويه عن أنس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤها وعلوها أولادكم » .